طلب العلم

تعريف بـ

فوائده، ونصائح، وحِكَم

للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

٦٧٣ - ٧٤٨هـ

استخرج نصوصه ورتبه وعلق عليه وقدم له

خليل بن محمد العربي

دار الإمام البخاري

الدوحة - قطر

طلب العلم

فوائد، ونصائح، وحِكَم

للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

٦٧٣ - ٧٤٨هـ

استخرج نصوصه ورتّبه وعلّق عليه وقدّم له

خليل بن محمد العربي

دار الإمام البخاري

الدوحة - قطر

الفصل الثاني

في الأسباب المعينة على طلب العلم

١ ـ التقوى:

◘ «عاصم الأحول عن بكر المُزني، قال: لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق بن حبيب: اتَّقُوها بالتقوى. فقيل له: صف لنا التقوى. فقال: العمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله، وتركُ معاصي الله، على نور من الله، مخافة عذاب الله.

قلتُ: أبدع وأوجز، فلا تقوى إلا بعمل، ولا عمل إلا بتروٍّ من العلم والاتباع. ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفًا من الله، لا ليُمْدَحَ بتركها، فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز»[(١)].

◘ «قال محمد بن بَركَة الحلبي: سمعتُ عُثمان بن خُرَّزاذ يقول: يحتاجُ صاحب الحديث إلى خمسٍ: فإن عَدِمَتْ واحدةٌ فهي نقصٌ، يحتاجُ إلى عقلٍ جيدٍ، ودِينٍ وضبطٍ وحذاقةٍ بالصِّناعة، مع أمانةٍ تُعرف منه.

قلتُ: الأمانةُ جُزء من الدِّين، والضبطُ داخلٌ في الحِذْق، فالذي يَحتاج إليه الحافظُ: أن يكون نقيًّا ذكيًّا، نَحْويًّا لُغَويًّا، زكيًّا حييًّا، سَلَفيًّا، يكفيه أن يكتب بيده مئتي مُجَلَّد، ويُحصِّل من الدَّواوين المعتبرة خمسَ مئة مجلد، وأن لا يفْتُرَ من طَلَب العِلم إلى الممات، بنيَّةٍ خالصةٍ وتواضُعٍ، وإلَّا فلا يَتَعَنَّ»[(٢)].

◘ «وعن سفيان الثَّوري قال: وددت أن علمي نسخ من صدري، ألستُ أريد أن أُسأل غدًا عن كل حديث رويته: أَيْش أردتَ به؟.

---

(١) السير (٤/ ٦٠١).

(٢) السير (١٣/ ٣٨٠).

قال يحيى القَطّان: كان الثَّوري قد غلبتْ عليه شَهْوة الحديث، ما أخاف عليه إلا من حبه للحديث.

قلتُ: حُبُّ ذاتِ الحديث، والعمل به لله مطلوبٌ من زاد المعاد، وحُبُّ روايته وعواليه والتَّكثر بمعرفته وفهمه مذموم مَخُوف، فهو الذي خاف منه سُفيان، والقطَّان، وأهل المراقبة، فإنَّ كثيرًا من ذلك وبال على المحدِّث»[1].

□ «محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا أبو إسماعيل الترمذي، حدثنا نعيم بن حماد، سمعت ابن المبارك يقول: ما رأيت أحدًا ارتفع مثل مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة.

قلتُ: ما كان عليه من العلم ونشره أفضل من نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به الله»[2].

□ «وقال الحافظُ أبو عليٍّ النَّيْسَابُوري: دخلتُ بغدادَ والفِريابيُّ حيٌّ، وقد أمسكَ عن التَّحديث، ودخلنا عليه غيرَ مرَّةٍ، ونكتبُ بينَ يديْه، كنَّا نراه حسرةً.

قلتُ: نِعْمَ ما صَنَعَ، فإنَّهُ أنِسَ من نفسِه تغيُّرًا، فتورَّع وتركَ الرِّواية»[3].

□ «الأعمش: عن مسلم، عن مسروق، قال: كفى بالمرء عِلْمًا أن يخشَى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلًا أن يُعجب بعمله»[4].

□ «أخبرنا أحمد بن إبراهيم الحُلودي وغيره: أن عبد الله بن اللَّتِّي أخبرهم، قال: أنبأنا جعفر بن المتوكل، أنبأنا أبو الحسن بن العلَّاف، حدثنا الحَمَّامي، حدَّثنا جعفر الخُلْدي، حدثني إبراهيم بن نصر، حدثنا إبراهيم بن بشَّار: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: وأيُّ دينٍ لو كان له رجال! مَنْ طلب العلم لله، كان الخمولُ أحبَّ عليه من التَّطاول، والله ما الحياةُ بثقة، فيُرجى نومها، ولا المنية بعذر، فيؤمن عُذْرها، ففيم التَّفريطُ والتَّقصيرُ والاتكالُ والإبطاءُ؟ قد رضينا مِن أعمالنا بالمعاني، ومِنْ طلب التَّوبة بالتَّواني، ومِن

---

(١) السير (٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).
(٢) السير (٨/ ٩٧).
(٣) السير (١٤/ ٩٩).
(٤) السير (٤/ ٦٨).

العيش الباقي بالعيش الفاني»[1].

□ «قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضل يقول: رَهْبَةُ العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهادتُه في الدنيا على قَدر رغبته في الآخرة، مَنْ عمل بما علم استغنى عمَّا لا يعلم، ومَنْ عمل بما علم وفَّقه الله لما لا يعلم، ومَنْ ساء خلقه شان دينَه وحسبه ومروءتَه»[2].

□ «وعن ابن عُيينة قال: الورعُ طلبُ العلم الذي به يُعرف الورعُ»[3].

□ «قال سعيد بن الحدَّاد: سمعتُ سُحْنونَ يقولُ: كنتُ إذا سألتُ ابنَ القاسم عن المسائل، يقولُ لي: يا سُحْنُون، أنت فارغٌ، إنِّي لأُحِسُّ في رأسي دَويًّا كدويِّ الرَّحا ـ يعني: من قيام الليل ـ قال: وكان قلَّما يَعْرِضُ لنا إلَّا وهو يقولُ: اتَّقوا الله، فإنَّ قليلَ هذا الأمرِ مع تَقوى الله كثيرٌ وكثيره مع غيرِ تقوى الله قليلٌ»[4].

□ «وقال يعقوبُ بن بختان: سمعتُ بشرَ بن الحارث يقولُ: لا أعلمُ أفضلَ من طلب الحديث لمن اتقى الله، وحَسُنت نيَّتُه فيه، وأمَّا أنا، فأستغفرُ الله من طلبه، ومن كل خطوةٍ خطوتُ فيه»[5].

□ «وعن بشر: ما اتقى الله مَنْ أحبَّ الشُّهرة»[6].

□ «قال أبو الربيع محمد بن الفضل البلخي: سمعتُ أبا بكر محمد بنَ مهرويه، سمعتُ علي بن محمد بن الجنيد، سمعتُ يحيى بن معين، يقول: إنَّا لنطعُنُ على أقوامٍ لعلَّهم قد حَطُّوا رِحَالَهم في الجنَّة من أكثر من مئتي سنة. قال ابن مهرويه: فدخلتُ على ابن أبي حاتم، وهو يقرأ على الناس كتاب «الجرح والتعديل»، فحدَّثْتُه بهذه الحكاية، فبكى وارتعدتْ يداهُ حتى سقط الكتابُ من يده، وجعل يبكي، ويستعيدني الحكاية، أو كما قال»[7].

---

(١) السير (٧/ ٣٩٤).
(٢) السير (٨/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧).
(٣) السير (٧/ ٤٦٥).
(٤) السير (٩/ ١٢٢).
(٥) السير (١٠/ ٤٧٢).
(٦) السير (١٠/ ٤٧٦).
(٧) السير (١١/ ٩٥).

□ «وقال ابن عَقِيل: عصمني اللهُ في شبابي بأنواعٍ من العِصمة، وقَصَرَ محبتي على العلم، وما خالطتُ لعّابًا قطُّ، ولا عاشرتُ إلَّا أمثالي مِنْ طلبة العلم، وأنا في عمر الثمانين أَجِدُ من الحِرصِ على العلم أشدّ مما كنتُ أجده وأنا ابنُ عشرين، وبلغتُ لاثنتي عشرة سنة، وأنا اليومَ لا أرى نقصًا في الخاطر والفِكر والحفظ، وحدَّة النظر بالعين لرؤية الأهلة الخفية إلَّا أن القوَّة ضعيفة»[1].

□ «الوليد بنُ مُسْلم، عن الأَوْزَاعِي، عن يحيى بنِ أبي كثيرٍ قَالَ: العالمُ مَنْ يخْشَى اللهَ، العُلماءُ مِثْلَ الملحِ هُمْ صلاحُ كلَّ شَيءٍ، فإذَا فَسَد الملحُ لا يُصْلِحْهُ شَيءٌ»[2].

□ «وقال الأوزاعي: سمعتُ يحيى بن أبي كثير يقول: العِالمُ مَنْ خَشِي الله، وخشيةُ اللهِ الوَرع»[3].

□ «وقال ابن الجُوزي: كنتُ أقرأُ على أبي البركات الأَنْمَاطِيِّ وهو يبكي، فاستفدتُ ببكائه أكثر من استفادتي بروايته، وكان على طريقة السَّلَفِ، انتفعتُ به ما لم أنتفع بغيره»[4].

٢ ـ العزيمة، والمثابرة، والاستمرار في طلب العلم:

□ «أخبرنا إسحاق الأسديِّ، أنبأنا ابنُ خليل، أنبأنا أبو المكارم، أنبأنا أبو عليٍّ، أنبأنا أبو نُعيم، حدَّثنا أبو أحمد محمد بن أحمد، حدَّثنا عبد الله بن شِيرُويه، حدَّثنا ابن راهويه، حدَّثنا محمد بن سلمة، والمحاربي، قالا: حدَّثنا ابنُ إسحاق، عن أبانَ بن صالح، عن مجاهد، قال: عرضْتُ القرآنَ على ابنِ عباس ثلاثَ عرْضات، أقِفُهُ عند كُلِّ آيةٍ أسأله: فيمَ نزلتْ؟ وكَيْفَ كَانَتْ؟»[5].

□ «معن: سمعتُ مالكًا يقول: قال ابنُ المسيِّب: إنْ كُنْتُ لأسيرُ الأيامُ

---

(١) السير (١٩/ ٤٤٦).
(٢) التاريخ (٨/ ٢٩٨).
(٣) التاريخ (٩/ ٤٩٢).
(٤) التذكرة (٤/ ١٢٨٣).
(٥) السير (٤/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧)، القراء (١/ ٦٦)، التاريخ (٧/ ٢٣٦).

والليالي في طَلَبِ الحديث الواحد»[1].

□ «وكان عَمْرُو بنُ ميمُون الجزريُّ يقول: لو علمتُ أنَّه بقيَ عليَّ حرفٌ من السُّنةِ باليمن لأتيتُها.

قلتُ: هذه الدَّعْوَى تَدُلُ عَلَى سِعَةِ عِلْمِهِ»[2].

□ «مبارك بن فضالة، عن هشام، عن أبيه، أنَّه كان يقول لنا ونحن شباب: ما لكم لا تعلَّمون، إنْ تكونوا صغارَ قومٍ يُوشِكُ أنْ تكونوا كبارَ قوم، وما خير الشيخ أن يكون شيخًا وهو جاهل. لقد رأيتُني قبل موت عائشة بأربع حِجَجٍ وأنا أقول: لو ماتت اليوم ما ندمتُ على حديثٍ عندها إلا وقد وعَيْتُه، ولقد كان يبلغني عن الصحابيِّ الحديثُ فآتيه، فأجده قد قال؛ فأجلس على بابه، ثم أسألُه عنه»[3].

□ «وروى الزبير بن الخِرِّيت، عن عكرمة قال: كان ابنُ عباس يضع في رجلي الكَبْلَ على تعليمِ القُرآن والسُّنَن»[4].

□ «مروان بن محمد، سمع الليث يقول: تذكَّر ابنُ شِهَابٍ ليلةً بعد العشاء حديثًا وهو جالس يتوضأ، فما زال ذاك مجلسه حتى أصبح»[5].

□ «روى ابنُ فُضَيل، عن أبيه، قال: كان ابن شُبرمة، ومغيرة، والحارث العُكْلي يَسْهَرُونَ في الفِقْهِ، فَرُبَمَا لمْ يَقُومُوا إلى الفَجْرِ»[6].

□ «روى الأوزاعي، عن الزهري، قال: إنَّما يُذهب العلمَ النسيانُ، وتركُ المذَاكَرَةِ»[7].

□ «وقال أبو الأحوص: قال لنا أبو إسحاق السَّبيعي: يا معشر الشَّباب اغتَنِمُوا يعني: قوَّتَكُم وشَبَابَكُم، قلَّما مرَّت بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألفَ آيةٍ، وإنِّي لأقرأ البقرةَ في ركعةٍ، وإنِّي لأصومَ الأشهرَ الحُرمَ، وثلاثةَ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ

---

(١) السير (٤/ ٢٢٢).
(٢) السير (٦/ ٣٤٦).
(٣) السير (٤/ ٤٢٤)، التاريخ (٦/ ٤٢٥).
(٤) السير (٥/ ١٤)، التذكرة (١/ ٩٦).
(٥) السير (٥/ ٣٣٣).
(٦) السير (٦/ ٣٤٩).
(٧) السير (٥/ ٣٣٧).

شهرٍ والاثنينَ والخميسَ»[1].

▫ «حاتم بن الوليد الكَرْمانيُّ: سمعتُ يحيى بن أبي بُكَير يقول: قيل لسُفيانَ الثَّوريِّ: إلى متى تطلب الحديث؟ قال: وأيُّ خيرٍ أنا فيه خيرٌ من الحديث، فأصير إليه؟ إنَّ الحديث خيرُ علوم الدُّنيا»[2].

▫ «ابنُ مَهديٍّ: كنَّا مع الثَّوريِّ جلوسًا بمكةَ، فَوَثَبَ وقالَ: النَّهارُ يعملُ عملَه»[3].

▫ «القعنبيُّ: سمعتُ مالكًا يقول: كان الرَّجلُ يختلف إلى الرجل ثلاثين عامًا يتعلمُ منه»[4].

▫ «وروى غيرُ واحدٍ أنَّ ابنَ المُبَارك قِيلَ لَهُ: إلى مَتى تكتُبُ العلمَ؟ قال: لعلَّ الكلمةَ التِي أنتفعُ بها لم أكتُبْها بَعْدُ»[5].

قال يَعْقُوبُ بنُ شيْبَةَ: سمعتُ عليًا يقول: مِنَ المُحدِّثينَ قومٌ لم يزالوا في الحديث، لم يُشغلُوا عنه، نشؤُوا، فطلبوا، ثم صنَّفُوا، ثم حدَّثوا، منهم روْحُ بنُ عُبادة»[6].

▫ «قال حَرْمَلةُ: قال الشافعيُّ: كنتُ أُقرِئُ النَّاسَ، وأنا ابنُ ثلاثَ عشرةَ سنةً، وحفظتُ «الموطأ» قبل أن أحْتَلِمَ»[7].

▫ «وقال ثعلبُ: قيل للأَصمعيِّ: كيفَ حفظتَ ونَسُوا؟ قال: دَرَسْتُ وترَكُوا»[8].

▫ «وعن الأصمعيِّ قال: نلتُ ما نِلتُ بالمُلَحِ.

قلتُ: كتبَ شيئًا لا يُحْصى عن العربِ، وكان ذَا حفظٍ وذَكَاءٍ ولُطْفِ عِبَارةٍ، فَسَادَ»[9].

---

(١) السير (٥/ ٣٩٧).
(٢) السير (٧/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).
(٣) السير (٧/ ٢٤٣).
(٤) السير (٨/ ١٠٨).
(٥) السير (٨/ ٤٠٧).
(٦) السير (٩/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤).
(٧) السير (١٠/ ٥٤).
(٨) السير (١٠/ ١٧٧).
(٩) السير (١٠/ ١٧٩ ـ ١٨٠).

□ «قالَ أبُو بكرٍ الأَنْبَاريُّ: كانَ أبُو عُبيدٍ رَحِمَهُ اللهُ يَقْسِمُ اللَّيلَ أثْلاثًا، فيُصَلِّي ثُلُثَه، وينامُ ثُلُثَه، ويُصَنِّفُ ثُلُثَه»[1].

□ «قال عبَّاسُ الدُّوريُّ: سمعتُ يحيى يقولُ: لَو لَمْ نَكتُبِ الحدِيثَ خَمْسِينَ مرةً، ما عَرَفْنَاهُ»[2].

□ «قال الحاكمُ: سمعتُ أبا عليٍّ محمدِ بن أحمدَ بن زيد المُعَدَّل يقول: سمعتُ يحيى بن الذهْلي يقول: دخلتُ على أبي في الصيف الصائف وقتَ القائلة، وهو في بيتِ كتبه، وبين يديه السِّراجُ، وهو يُصَنِّفُ، فقلتُ: يا أبتِ! هذا وقتُ الصَّلاةِ، ودُخانُ هذا السِّراجِ بالنَّهارِ، فلو نَفَّسْتَ عن نفسِكَ؟ قال: يا بُنَي! تقولُ لي هذا، وأنا معَ رسولِ اللهِ ﷺ، وأصحَابِه، والتَّابِعينَ؟»[3].

□ «أخبرنا أبو حفص بن القَوَّاس، أخبرنا أبو القاسم بنُ الحَرَسْتاني قراءةً عليه سنَة تسعٍ وست مئة وأنا حاضِر، أخبرنا أبو الحسن عليُّ بن المُسَلَّم الفقيهُ، أخبرنا الحسينُ بن محمد الخطيب، أخبرنا الحسينُ بن محمدُ بنُ أحمد الغساني، حدثني أحمدُ بنُ محمد بن آدم، حدثنا محمدُ بن يوسف البخاريّ، قال: كنتُ مع محمدِ بن إسماعيل بمنزله ذات ليلةٍ، فأحصيتُ عليه أنّه قام وأسْرَجَ يستذكر أشياءَ يُعَلِّقها في ليلةٍ ثمان عشرة مرة.

وقال محمدُ بنُ أبي حاتمٍ الورَّاقُ: كان أبو عبد الله، إذا كنتُ معه في سفرٍ، يجمعنا بيتٌ واحدٌ إلا في القيظِ أحيانًا، فكنتُ أراه يقوم في ليلةٍ واحدةً خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كلِّ ذلك يأخذ القداحة، فيُوري نارًا، ويُسْرِج، ثم يُخرج أحاديث، فيُعلِّم عليها»[4].

□ «وقال محمدُ بنُ أبي حاتم: سمعتُ هانئ بن النضر يقول: كنَّا عند محمدِ بن يوسف ـ يعني: الفِريابيِّ ـ بالشام، وكنَّا نَتَنَزَّه فِعْلَ الشباب في أكلِ الفِرْصَادِ ونحوه، وكان محمد بن إسماعيل معنا، وكان لا يُزاحمنا في شيءٍ

---

(١) السير (١٠/ ٤٩٧).
(٢) السير (١١/ ٨٤).
(٣) السير (١٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠).
(٤) السير (١٢/ ٤٠٤).

ممَّا نحنُ فيه، ويُكِبُّ على العلم»[1].

□ «وقال محمَّدُ بنُ أبي حاتم الورَّاق: سمعتُ حاشِد بن إسْماعيل، وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلفُ معنا إلى مشايخ البصرة وهو غُلامٌ، فلا يكتُب، حتى أَتَى على ذلك أيّامٌ، فكنَّا نقولُ له: إنَّك تختلِفُ معنا ولا تكتب، فما تصنَعُ؟ فقال لنا يومًا بعد ستة عشر يومًا: إنَّكما قد أكثرْتُما عليَّ وأَلْححتُما، فأعْرضا عليَّ ما كتبتُما. فأخرْجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألفِ حديث، فقرأها كُلَّها عن ظهر القلب، حتى جعلنا نُحْكِم كُتُبنا من حفظه. ثمَّ قال: أترَوْن أنِّي أختلِفُ هَدرًا، وأُضَيِّعُ أيامي؟! فعرفنا أنَّه لا يتقدمُه أحد»[2].

□ «وقال ابنُ عدي: حدثني محمدُ بنُ أحمد القُومسي، سمعتُ محمد بن خمرويه، سمعتُ محمد بن إسماعيل يقولُ: أحفظُ مئة ألفِ حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح»[3].

□ «وقال غُنْجار في تاريخه: حدثنا أبو عَمرو أحمدُ بنُ محمد المُقرئ، حدثنا أبو بكر محمدُ بنُ يعقوب بن يوسف البِيْكَنْدِي، سمعتُ عليَّ بن الحُسين بن عاصم البِيْكَنْدي يقول: قدِم علينا محمدُ بن إسماعيل، قال: فاجتمعنا عنده. فقال بعَضنا: سمعتُ إسحاق بن راهويه يقول كأنِّي أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي. فقال محمدُ بن إسماعيل: أَو تَعْجَبُ من هذا؟! لعلَّ في هذا الزمان من ينظُر إلى مئتي ألف حديث من كتابه. وإنَّما عَنى به نفسه»[4].

□ «قال أحمدُ بن محمد بن سلَيمان، سمعتُ أبا زرْعة يقول: إذا مَرِضتُ شهرًا أو شهرين، تبيَّن عَليَّ في حفِظ القرآن، وأما الحديثُ، فإذا تركت أيَّامًا تبيَّنَ عليَّ. ثُمَّ قال أبو زُرْعَةَ: نَرى قومًا من أصحَابنا، كَتَبوا الحديثَ، تَرَكُوا المجالسة مُنْذُ عشرين سنةً، أو أقلَّ، إذا جَلَسوا اليومَ مع الأحْداثِ، كأنهم لا

---

(١) السير (١٢/٤٠٥).
(٢) السير (١٢/٤٠٨).
(٣) السير (١٢/٤١٥).
(٤) السير (١٢/٤١٦).

يعرفونَ، أو لا يُحْسنُونَ الحديث. ثُمّ قال: الحديثُ مثلُ الشَّمْسِ، إذا حُبِس عن الشَّرق خَمْسَةَ أيَّامٍ، لا يعرف السَّفر، فهذا الشَّأنُ يحتاجُ أن تتعاهدَه أبَدًا»[1].

□ «قال ابنُ أبي حاتم الرازي: سمعتُ أبي يقولُ: أول سنةٍ خرجْتُ في طَلَبِ الحديث، أقمتُ سَبْعَ سِنينَ، أحصيتُ ما مشيتُ على قَدَمَيَّ زِيادةً على ألفِ فَرْسَخٍ.

قلتُ: مسافة ذلك نَحْوُ أربعة أشهُرٍ، سيرَ الجَادَّة.

قال: ثم تركتُ العدد بعد ذلك، وخرجْتُ من البَحْرَين إلى مِصر ماشيًا، ثم إلى الرَّمْلَة ماشيًا، ثم إلى دمشق، ثم أَنْطاكية وطرسُوس، ثم رَجَعْتُ إلى حِمْصَ، ثم على الرَّقَّة، ثم ركبتُ على العِراق، كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنةً. خرجت من الرَّي، فدخلتُ الكوفَةَ في رمضان سنةَ ثلاثَ عشرةَ، وجاءنا نَعيُّ المقرئ وأنا بالكوفة، ثم رحلْتُ ثانيًا سنة اثنتين وأربعين، ثم رجعت إلى الرَّي سنة خمسٍ وأربعين، وحججتُ رابعَ حجةٍ في سَنة خمسٍ وخمسين. وحَجَّ فيها عبدُ الرحمٰن ابنه»[2].

□ «قال ابن أبي حاتم: سمعتُ أبي يقولُ: بقيتُ سنة أربع عشرة ثمانيةَ أشْهر بالبصرة، وكان في نفْسِي أن أُقيم سَنَةً، فانْقطَعَتْ نفقتِي، فجعلتُ أبيعَ ثِيابي حتى نَفِدتْ وبقيتُ بلا نفقةٍ، ومضيتُ أطوفُ مع صديقٍ لي إلى المَشْيخَةِ، وأسْمَعُ إلى المسَاء، فانصرفَ رفِيقِي، ورجعتُ إلى بَيتي، فجعلتُ أشربُ الماءَ مِنَ الجُوع، ثم أصبحتُ، فَغَدَا عليَّ رَفِيقِي، فجعلتُ أطوفُ معه [في سماع الحديث] على جُوع شَديدٍ، وانصرفْتُ جائعًا، فلمَّا كان من الغدِ غَدَا عليَّ فقالَ: مُرَّ بِنا إلى المشايخ. قلتُ: أنا ضعيفٌ لا يمكنُني. قالَ: ما ضعفُك؟ قلتُ: لا أكتمُك [أمري، قد] مَضَى يوْمَان ما طَعمتُ فيهما شيئًا، فقالَ: قدْ بَقِيَ معي دينارٌ، فنصفُه لك ونجعلُ النِّصفَ الآخرَ في الكِرَاء، فخرجْنَا من البصْرةِ، وأخذتُ منه النَّصف دينار.

---

(١) السير (١٣/ ٧٩).

(٢) السير (١٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).

وسمعتُ أبي يقولُ: خرجْنا من المدينةِ مِنْ عند داود الجَعْفَريِّ وصرْنَا إلى الجَار، وركبْنا البحرَ، فكانت الريحُ في وجُوهِنا، فبقينا في البحر ثلاثةَ أشهر، وضاقتْ صُدُورُنَا، وفني ما كانَ معنَا، وخرجنْا إلى البرِّ نمْشِي أيامًا، حتى فني ما تبقى معنا من الزَّاد والماء، فمشينَا يومًا لمْ نأكلْ ولم نشربْ، ويوم الثَّاني كمثل، ويوم الثَّالث، فلمَّا كان يكونُ المسَاء صَلَّيْنَا، وكنَّا نُلقي بأنفسنا [حيثُ كنَّا]، فلمَّا أصبْحنَا في اليومِ الثَّالث جعلنا نَمشي على قدْر طاقَتِنَا، وكُنَّا ثلاثةَ أنْفُسٍ: شيخٌ نيْسَابُوريٌّ، وأبو زُهير المرْوَرَّوْذِي، فسقطَ الشيخُ مغْشيًا عليه، فجئْنَا نُحَرِّكَهُ وهُو لا يعْقِل، فتركْنَاه ومشينا قدر فَرْسَخٍ، فضَعُفْتُ وسقطتُ مَغْشيًا عليَّ، ومَضَى صاحِبِي يمشِي فَبَصُرَ مِنْ بُعْدٍ قومًا قَرَّبُوا سَفِينتَهُم مِنَ البرِّ، وَنَزَلُوا على بئْر مُوسَى، فلمَّا عاينَهُم لوَّحَ بثوبِهِ إليهِم، فجاؤُوه معهُم ماء في إدَاوَةٍ فسقَوه وأخذُوا بيدِهِ، فقَالَ لهُم: الْحَقُوا رَفِيقيْن لِي، فَمَا شعرتُ إلَّا برجُلٍ يصبُّ الماءَ عَلَى وجْهِي، فَفَتَحْتُ عَيْنَيَّ فقلتُ: اسْقِني، فصبَّ من الماءِ في مَشْربةٍ قليلًا، فشربت، ورجعتْ إليَّ نفْسِي، ثمَّ سَقَاني قليلًا، وأَخَذَ بيديَّ، فقلتُ، ورَائِي شيخٌ مُلْقَى، فذهبَ جماعةٌ إليْهِ، وأخَذَ بيديَّ وأنَا أمْشِي وأجرُّ رجليَّ، حتَّى إذا بلغْتُ إلى عنْد سَفينتهم، وأَتَوا بالشيخِ، وأحْسَنُوا إليْنَا، فبَقِينَا أيَّامًا، حتَّى رجعتْ إلينَا أنفُسُنَا، ثمَّ كَتبُوا لنَا كتابًا إلى مدينةٍ يُقَال لها رَاية، إلى والِيهِم، وزوَّدُونَا مِنَ الكعْك والسَوِيقِ والماءِ. فلمْ نزلْ نمشِي حتَّى نَفَدَ ما كَانَ معنَا مِنَ الماءِ والقُوتِ، فجعلْنَا نمشِي جِياعًا على شطِّ البحْرِ، حتَّى دفعنا إلى سُلْحفَاةٍ مثلَ التُّرْس، فَعَمَدْنَا إلى حجَرٍ كبيرٍ، فضربنَا على ظهْرِهَا، فانْفَلَقَ، فإذَا فيهَا مثْلُ صُفْرَةِ البيْضِ، فتحسَّيْنَاه حتَّى سَكَنَ عنَّا الجوعُ، ثمَّ وصلْنَا إلى مدينةِ الرَّاية، وأوصلْنَا الكتابَ إلى عامِلِهَا، فأنزلْنَا في دارِه، فَكَانَ يُقَدِّمُ لنا كلَّ يومٍ القرْعَ، ويقُولُ لخادِمِهِ: هاتِي لهُم اليَقْطِينَ المُبَارك، فيقدِّمَه مَعَ الخُبْزِ أيَّامًا، فَقَالَ واحدٌ منَّا: ألا تَدْعُو باللَّحْمِ المشْؤوم! فَسمِعَ صاحبُ الدَّارِ، فقالَ: أنَا أُحْسِنُ بالفَارِسِيَّة، فإنَّ جَدَّتي كانتْ

هَرَويَّة، وأَتَانَا بعْدَ ذلكَ باللَّحم، ثمَّ زوَّدنَا إلى مِصْرَ»[1].

□ «وقال الرَّازي: وسمعتُ علي بن أحمد الخُوَارزْمي يقول: سمعتُ عبد الرحمٰن بن أبي حَاتم يقولُ: كنَّا بمصرَ سَبْعَةَ أشهر، لم نأْكُل فيها مَرَقَةً، كلُّ نَهَارِنَا مُقَسَّمٌ لمجالسَ الشُّيُوخِ، وباللَّيلِ: النَّسخُ والمُقَابَلَةُ. قَالَ: فأتيْنَا يومًا أنَا ورفيقٌ لي شيخًا، فقالُوا: هُوَ عَليْلٌ، فرأيْنَا في طريقِنَا سمكةً أعْجبتنا، فاشتريْنَاه، فلمَّا صِرنا إلى البيْتِ، حَضَرَ وقتُ مجلسٍ، فلمْ يُمْكِنَّا إصلاحَه، ومضيْنَا إلى المجلسِ، فلمْ نزلْ حتَّى أَتى عليْه ثلاثةُ أيَّامٍ، وكَادَ أن يتغيْرَ، فأكلْنَاه نيئًا، لَم يَكُنْ لنَا فَراغٌ أن نُعْطَيَه مَنْ يَشْويه. ثمَّ قَالَ: لا يُسْتَطَاعُ العِلْمُ بِرَاحَةِ الجَسَدِ»[2].

□ «وقال أبُو عبدِ المَلِكِ أحمدُ بنُ محمَّد بن عبد البَّر القُرْطبيّ: وكَانَ بَقِيُّ بنُ مَخْلَدٍ يقُولُ: إنَّي لأعْرفُ رجلًا، كَانَ تمضِي عليْه الأيَّامُ في وقتِ طلبِ العلْمِ، ليسَ لَهُ عيشٌ إلَّا ورقُ الكُرُنْبِ الذي يُرْمَى، وسمعتُ مِنْ كُلِّ مَنْ سمعتُ مِنْهُ في البُلْدَان ماشيًا إليهِم عَلَى قَدَمِي»[3].

□ «قال أبو مسعود عبدُ الرحيم الحاجي: سمعتُ ابنَ طاهر يقول: بُلْتُ الدَّمَ في طلب الحديث مرتين، مرة ببغداد، وأُخرى بمكة، كنتُ أمشي حافيًا في الحرِّ، فلحقني ذلك، وما ركبتُ دابَّةً قطُّ في طلب الحديث، وكنتُ أَحْمِلُ كتبي على ظهري، وما سألتُ في حال الطلب أحدًا، كنتُ أعيش على ما يأتي.

وقيل: كان يمشي دائمًا في اليوم والليلة عشرين فرسخًا، وكان قادرًا على ذلك»[4].

---

(١) السير (١٣/ ٢٥٦ ـ ٢٥٨).

(٢) السير (١٣/ ٢٦٦)، التاريخ (٢٤/ ٢٠٨)، التذكرة (٣/ ٨٣٠).

(٣) السير (١٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٢)، التذكرة (٢/ ٦٣٠).

(٤) السير (٣٦٣ ـ ٣٦٤)، التذكرة (٤/ ١٢٤٣).

حدثنا التاجُ محمدُ بنُ عبد الرحمٰن المسعوديُّ، سمعتُ الحافظَ أبا العلاء الهَمَذانيَّ يقول، وقال لي يومًا: أَيُّ شيءٍ فُتِحَ لابن عساكر، وكيف تَرى النَّاس له؟ قلتُ: هو بعيدٌ من هذا كلِّه، لم يشتغل مُنذُ أربعينَ سنةً إلا بالجمع والتصنيفِ والتَّسْميع حتى في نُزَهِهِ وخَلَواتِه، فقال: الحمد لله، هذا ثمرةُ العلم»[1].

□ «جرير بن حازم، عن يعلى بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما توفي رسول الله ﷺ، قلت لرجل من الأنصار: هلمَّ نسألْ أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم اليوم كثيرٌ؛ فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناسَ يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ مَنْ تَرى؟ فترك ذلك. وأقبلتُ على المسألة، فإن كان ليبلُغني الحديثُ عن الرجل، فآتيه وهو قائل، فأتوسَّد على بابه، فتَسفي الريحُ عليَّ الترابَ، فيخرجُ فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ! ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحقُّ أن آتيك، فأسألك. قال: فبقيَ الرجلُ حتى رآني وقد اجتمع الناسُ عليَّ، فقال: هذا الفتى أعقلُ مني»[2].

□ «عبد الله بن العلاء بن زَبْر قال: سمعتُ مكحولًا يقول: كنتُ عبدًا لسعيد بن العاص فوهبني لامرأة من هذيل فأنعم الله عليَّ ـ يعني: بمصر ـ فما خرجت منها حتى ظننت أنَّه ليس بها علم إلا وقد سمعته، ثم قدمت المدينة فما خرجت منها حتى ظننتُ أنَّه ليس بها علم إلا وقد سمعتُه، ثمَّ لقيت الشعبي فلم أر مثله.

وقال يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: سمعتُ مكحولًا يقولُ: طفتُ الأرض كلَّها في طلب العلم»[3].

□ «وروى عبد الله بن يحيى بن أبي كثير، عن أبيه أنَّه قال: لا يستطاع

---

(١) السير (٢٠/ ٥٦٤)، التذكرة (٤/ ١٣٣١).
(٢) السير (٣/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣)، التاريخ (٥/ ١٥٣ ـ ١٥٤).
(٣) التاريخ (٧/ ٤٧٩).

العلم براحة الجسد»[1].

□ «وقال محمد بن بِشْر العَكَريُّ، وغيره: ثنا الربيع قال: كان الشافعيُّ قد جزَّء الليل ثلاثة أجزاء: ثُلثه الأوّل يكتب، والثاني يُصلي، والثالث ينام.

قلت: هذه حكاية صحيحة، تدلُّ على أنَّ ليلهَ كلَّه كان عِبادة. فإنَّ كتابة العلم عبادة، والنَّوم لحقِّ الجسد عبادة، قال ﷺ: «**إنَّ لجَسَدِك عليك حقًّا**»[2].

□ «قال بكر بن محمد: سمعتُ عبد الرَّحمٰن بن يوسفُ بن خِراش يقولُ: شربتُ بَوْلي في هذا الشأن ـ يعني: الحديث ـ خمس مرَّات»[3].

□ «وقال الخطيبُ: سمعتُ عليُّ بن عُبَيْد الله اللُّغويُّ يقول: مَكَثَ ابن جرير أربعين سنة يكتب كلّ يومٍ أربعين ورقة»[4].

□ «قال الحاكم: رحلتُ إلى محمد بن محمد أبي النضر الطوسي مرَّتين، وسمعتُ كتابه المخرَّج على مسلم، وسألتُ: متى تتفرَّغ للتّصنيف مع هذه الفتاوى؟

فقال: قد جزَّأتُ اللَّيل ثلاثة أجزاء، جزءٌ للتصنيف، وجزءٌ لقراءة القرآن، وجزءٌ للنَّوم»[5].

□ «قال أبو بكر بن أبي علي: سأل والدي أبا القاسم الطبراني عن كثرة حديثه؟ فقال كنتُ أنامُ على البَواري ثَلاثينَ سنة»[6].

□ «قال أبو زكريا بن منده: كنتُ مع عمِّي عبيد الله في طريق نيسابور فلمَّا بلغنا بئر مجنة حكى لي عمِّي قال: كنتُ أسير يومًا فعرض لي شيخ جمَّال فقال: كنت قافلًا عن خراسان مع أبي فلمَّا وصلنا إلى هنا إذ نحن بأربعين وقرًا من الأحمال، فظننا أن ذلك ثياب، فإذا خيمة صغيرة فيها شيخ، وإذا هو

---

(١) التاريخ (٨/ ٢٩٨).
(٢) التاريخ (١٤/ ٣٢٢).
(٣) التاريخ (٢١/ ٢١٤).
(٤) التاريخ (٢٣/ ٢٨١).
(٥) التاريخ (٢٥/ ٣١١ ـ ٣١٢).
(٦) التاريخ (٢٦/ ٢٠٤)، التذكرة (٣/ ٩١٥).

والدك، فسأله بعضنا ما هذه الأحمال؟ فقال: هذا متاعٌ قلَّ من يرغب فيه في هذا الزَّمانِ، هذا حديثُ رسول الله ﷺ.

□ «ثم ذكر لي عمِّي بعد ذلك فقال: كنتُ قافلًا عن خراسان، ومعي عشرون وقرًا من الكتب، فنزلت فيها عند البئر اقتداءً بالوالد»[1].

□ «وقال محمد بن إبراهيم بن أبي العنبس: أخبرني يحيى بن سلمة، قال: كان سفيان الثوري يجيء إلى أبي وهو غلام عليه أقبية يسمع منه، فكان أبي يعيرني به ويقول: انظر إلى هذا الغلام يجيء من بني ثَوْر رغبةً في الحديث، وأنت ها هنا لا ترغب فيه»[2].

□ «قال عبد القادر الرُّهاوي: وكان أبو العلاء الهمداني من أبناء التجار، فأنفق جميع ما ورثه في طلب العلم، حتى سافر إلى بغداد وأصبَهان مرَّات ماشيًا. وكان يحمل كتبه على ظهره. قال: كنت أبيت ببغداد في المساجد، وآكل خُبز الدَّخل، إلى أن قال عبد القادر: ثم عظم شأنه، حتى كان يمر بالبلد، فلا يبقى أحد رآه إلا قام ودعا له حتى الصبيان واليهود... وكان يُقرئ نصف نهاره القرآن والعلم، ونصفه الآخر الحديث، وكان لا يغشى السلاطين، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وكانت السُّنَّةُ شعاره، ودثارهُ اعتقادًا وفِعلًا، ولا يمس الجزء الحديثي إلا على وضوءٍ»[3].

٣ ـ الحفظ وأسبابه:

□ «حمَّاد بن زيد: حدثني عمَرو بن عبيد الأنصاري: حدثني أبو الزعيزعة ـ كاتب مروان ـ: أنَّ مروانَ أرسلَ إلى أبي هريرة، فجعل يسأله، وأجلسني خلف السرير، وأنا أكتبُ، حتى إذا كان رأسُ الحوَل، دعا به، فأقعده من وراء الحجاب، فجعل يسألُه عن ذلك الكتاب، فما زادَ ولا نَقَص، ولا قدّمَ ولا أخَّر.

---

(١) التذكرة (٣/ ١٠٣٥).
(٢) الميزان (٤/ ٣٨١).
(٣) القراء (٢/ ٥٤٣ ـ ٥٤٤).

قلتُ: هكذا فليكن الحفظ»[1].

□ «قال ابنُ عبد البَرِّ في ترجمة ابن عباس: هو القائل ما رُوي عنه من وجوهٍ:

إنْ يأْخُذِ الله مِنْ عَينيَّ نُورَهما ففي لساني وقَلبي مِنْهُما نُورُ
قَلبي ذكيٌّ وعَقْلي غيرُ ذي دَخَلٍ وفي فمي صارمٌ كالسَّيفِ مَأْثورُ»[2]

□ «وقال أبو عبد الله البخاري: لا أعلمُ شيئًا أنْفَعَ للحفظِ من نَهْمَةِ الرجل، ومُداومة النظر»[3].

□ «وقال محمَّدُ بنُ أبي حاتمٍ الورَّاق: سمعتُ حاشِد بن إسْماعيل، وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلفُ معنا إلى مشايخ البصرة وهو غُلامٌ، فلا يكتُب، حتى أَتَى على ذلك أيَّامٌ، فكنَّا نقولُ له: إنَّك تختلِفُ معنا ولا تكتب، فما تصنَعُ؟ فقال لنا يومًا بعد ستة عشر يومًا: إنَّكما قد أكثَرْتُما عليَّ وأَلْححتُما، فأعْرضا عليَّ ما كتبتُما. فأخرْجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألفِ حديث، فقرأها كُلَّها عن ظهر القلب، حتى جعلنا نُحْكِم كُتُبنا من حفظه. ثمَّ قال: أتروْن أنِّي أختلِفُ هَدرًا، وأُضَيِّعُ أيامي؟! فعرفنا أنَّه لا يتقدمُه أحد»[4].

□ «وقال غُنْجار في تاريخه: حدثنا أبو عَمرو أحمدُ بنُ محمد المُقرئ، حدثنا أبو بكر محمدُ بنُ يعقوب بن يوسف البِيْكَنْدِي، سمعتُ عليَّ بن الحُسين بن عاصم البِيْكَنْدي يقول: قدِم علينا محمدُ بن إسماعيل، قال: فاجتمعنا عنده. فقال بعضنا: سمعتُ إسحاق بن راهويه يقول لك كأنِّي أنظر إلى سبعين ألف حديث من كتابي. فقال محمدُ بن إسماعيل: أَو تَعْجَبُ من هذا؟! لعلَّ في هذا الزمان من ينظُر إلى مئتي ألف حديث من كتابه. وإنَّما عَنى به نفسه»[5].

---

(١) السير (٢/٥٩٨).
(٢) السير (٣/٣٥٧).
(٣) السير (١٢/٤٠٦).
(٤) السير (١٢/٤٠٨).
(٥) السير (١٢/٤١٦).

◘ «وقال ابنُ عدي: حدثني محمدُ بنُ أحمد القُومسي، سمعتُ محمد بن خميرويه، سمعتُ محمد بن إسماعيل يقولُ: أحفظ مئة ألفِ حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح»[1].

◘ «وقال علقمة: ما حفظتُ وأنا شابٌّ، فكأني أنظر إليه في قِرطاسٍ»[2].

◘ «قال أبو هلال: وسمعتُ قتادةَ يقولُ: الحفظُ في الصغرِ كالنقْشِ في الحَجَرِ»[3].

◘ «معمر، عن الزهري: ما قلتُ لأحدٍ قطُّ: أعِدْ عليَّ.

ابنُ وهبٍ، عن اللَّيث، كان ابنُ شهابٍ، يقول: ما استودعتُ قلبي شيئًا قطُّ فنسيتُه»[4].

◘ «وعن إسماعيل المكيِّ: سمعتُ الزهريَّ يقول: مَن سرَّه أن يحفظ الحديث فليأكلِ الزبيبَ. قال الحاكمُ: لأنَّ زبيبَ الحجاز حارٌّ حلو رقيق فيه يُبس مقطع للبلغم»[5].

◘ «قال يحيى بن المغيرة: عن جرير بن عبد الحميد، قال: قال مغيرةُ ما وقع في مسامعي شيءٌ فنسيته.

قلتُ: هذا والله الحفظُ، لا حفظُ مَنْ درسَ كتابًا مراتٍ عِدَّةٍ، حتى عرضه، ثمَّ تخبط عليه، ثمّ درسه وحفظه، ثم نسيَه أو أكثَرَهُ»[6].

◘ «قال عبد الرحمٰن بن خِراش: بلغني أن مالكًا نَقم على هشام بن عروة حديثَه لأهل العراق، وكان لا يرضاه، ثمَّ قال: قدم الكوفة ثلاث مرات، قَدْمَةً كان يقُولُ فيها: حدثني أبي قال: سمعتُ عائشة. والثانية، فكان يقول أخبرني أبي عن عائشة. وقدم الثالثة فكان يقول: أبي عن عائشة، يعني: يُرسل عن أبيه.

---

(١) السير (١٢/ ٤١٥).
(٢) السير (٤/ ٥٨).
(٣) السير (٥/ ٢٧٥).
(٤) السير (٥/ ٣٣٢).
(٥) السير (٥/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧).
(٦) السير (٦/ ١١).

قلتُ: الرجل حجة مطلقًا، ولا عِبرة بما قاله الحافظ أبو الحسن بن القطان من أنه هو وسُهيل بن أبي صالح اختلطا وتغيرا، فإنَّ الحافظ قد يتغير حفظه إذا كبِر، وتنقص حِدَّةُ ذِهنه، فليس هو في شيخوخته، كهو في شبيبته. وما ثَمَّ أحدٌ بمعصوم من السهو والنسيان، وما هذا التغيُّر بضار أصلًا، وإنما الذي يضر الاختلاطُ، وهشام فلم يختلط قطُّ، هذا أمرٌ مقطوعٌ به، وحديثُه محتج به في «الموطأ» والصحاح، والسنن، فَقَوْلُ ابنِ القطان: «إنَّه اختلط» قولٌ مردود، مرذول. فأرني إمامًا من الكبار سَلِمَ من الخطأ والوهم.

فهذا شعبة، وهو في الذروة، له أوهام، وكذلك مَعْمر، والأوزاعي، ومالك رحمة الله عليهم»[1].

□ «وقال أبو طالب أحمدُ بنُ محمد بن إسحاق بن البُهْلول: تذاكرتُ أنا وابنُ صاعد ما حدَّث به جَدِّي ببغداد، فقلتُ له: قال لي أُنيس المستملي: إنَّه حدَّث مِنْ حفظه بأربعين ألف حديث. فقال ابنُ صاعد: لا يدري أنيس ما قال. حدَّث إسحاقُ بن البهلول من حفظه ببغداد بأكثر من خمسين ألف حديث.

قلتُ: كذا فليكنِ الحفظُ وإلا فلا، قَنِعنا اليومَ بالاسم بلا جسم، فلو رأى الناسُ في وقتنا من يروي ألف حديث بأسانيدها حفظًا لانْبَهَروا له»[2].

□ «وروى عبدُ القدوس بنُ بَكر، عن محمد بنِ النَّضر قال: أوَّلُ العِلْمِ الاستماع، والإنصات، ثم حِفْظُه، ثم العملُ به، ثم بثُّه»[3].

□ «وعن سُحنون قال: إنِّي حفظتُ هذه الكتب، حتى صارت في صدري كأُمِّ القرآن»[4].

□ «أبو موسى: حدثنا الحُسينُ بنُ عبد الملك، عن سعدِ بن علي الزَّنجاني، سمع أبا نصرِ الوائليَّ يقولُ: لمَّا ورد أبو الفضل الهمداني نيسابور،

---

(١) السير (٦/ ٣٥ ـ ٣٦).
(٢) السير (١٢/ ٤٩٠).
(٣) السير (٨/ ١٧٥ ـ ١٧٦)، التاريخ (١١/ ٣٥٤).
(٤) السير (١٢/ ٦٩).

تعصَّبُوا له، ولقَّبوه: بديعَ الزمان، فأُعجب بنفسه إذ كان يحفظُ المئة بيتٍ إذا أُنشدتْ مرةً، ويُنْشِدُها من آخرها إلى أولها مقلوبةً، فأنكر على النَّاس قولهم: فلانٌ الحافظُ في الحديث، ثم قال: وحِفْظُ الحديثِ مما يُذكر؟! فسمع به الحاكمُ ابنُ البَيِّع، فوجَّه إليه بجزء، وأجَّل له جُمعةً في حفظه، فردَّ إليه الجُزء بعد الجمعة، وقال: مَن يحفظُ هذا؟ محمدُ بن فلان، وجعفر بن فلان، عن فُلان؟ أسامي مُختلفة، وألفاظ مُتباينة؟ فقال له الحاكم: فاعرفْ نفسَك، واعلمْ أنَّ هذا الحفظَ أصعبُ مما أنتَ فيه»[1].

□ «كتب إلينا المعَمَّر العالم أبو محمد عبدُ الله بن محمد بن هاروة من مدينة تُونس عام سبعِ مئة، عن أبي القاسم أحمدَ بنِ يزيد القاضي، عن شُريح بن محمد الرُّعِيني، أن ابن حزم قال فيما أَحرق له المُعتضِدُ بن عَبّاد من الكُتُب يقولُ:

فإن تَحْرِقُوا القِرْطاسَ لا تَحْرِقُوا الَّذي ... تَضَمَّنه القِرْطَاسُ بَلْ هُو في صدْري
يَسيرُ مَعي حيْثُ استَقَلَّتْ رِكَائِبي ... ويَنْزِلُ إن أَنْزِلْ وَيُدْفَنُ في قَبْري
دَعُونِيَ مِنْ إِحْرَاقِ رَقٍّ وَكَاغَدٍ ... وَقُولُوا بِعِلْمٍ كَيْ يَرَى النَّاسُ مَنْ يَدري
وإلا فعُودُوا في المَكَاتِبِ بَدْأَةً ... فَكَمْ دُونَ ما تَبغُونَ لله من سِتْر
كَذَاكَ النَّصارَى يَحْرِقُونَ إذا عَلَتْ ... أكفُّهم القُرآنَ في مُدُنِ الثَّغْرِ»[2]

□ «قال أبو علي الحافظ النَّيْسابوري: ما رأيتُ في المشايخ أحفظ من عَبْدان، ولا رأيت في أصحابنا أحفظ من أبي بكر الجِعابي، وذاك أني حَسِبْتُه من البغداديين الذين يحفظون شيخًا واحدًا، أو ترجمة واحدةً، أو بابًا واحدًا، فقال لي أبو إسحاق بن حمزة يومًا: يا أبا علي لا تغلط في ابن الجِعابي فإنَّه يحفظُ حديثًا كثيرًا. قال: فخرجنا يومًا من عند ابن صاعد فقلت له: يا أبا بكر أيش أسند الثوري عن منصور؟ فمرَّ في الترجمة، فقلتُ؛ أيش عند أيوب، عن الحسن؟ فمرَّ في الترجمة، فما زلتُ أجرُّه من حديث مِصر إلى حديث الشام إلى العراق إلى أفراد الخُراسانيِّين وهو يُجيب، فقلت: أيش روى الأعمش،

---

(١) السير (١٧/ ١٧٣).
(٢) السير (١٨/ ٢٠٥).

عن أبي صالح، عن أبي سعيد، وأبي هُريرة بالشركة؟ فذكر بضعة عشر حديثًا، فحيَّرني حِفْظُه. رواه الحاكمُ عن أبي علي»[1].

□ «عمْرُو بنُ سوَّاد، قال لي ابن وهب: سمعتُ من ثلاثمائة وسبعين شيخًا، فما رأيتُ أحفظَ من عمرو بن الحارث، وذلك أنَّه كَانَ جعَلَ عَلى نفْسِه أن يحْفظَ في كُلِّ يومٍ ثلاثةَ أحَاديث»[2].

□ «قال ابن الأكفاني: وكان حيدر بن علي أبو المنجا المُعَبِّر يذكر أنَّه يحفظ في علم تعبير الرُّؤيا عشرة الآف ورقة. وثلاثمائة ونيفًا وسبعين. كان يقول: زدتُ على أستاذي عبد العزيز بن عليّ الشَّهْرُزُوريِّ المالكيِّ بحفظ ثلاثمائة وسبعين ورقة.

قلتُ: هكذا كانت أيُّها اللَّعابُ هِمَمُ العلماء وأذهانهم، وأين هذا من محفوظات علمائنا اليوم؟»[3].

٤ ـ ملازمة العلماء والأخذ عنهم:

□ «رُويَ عن أبي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: لَوْلا ثلاثٌ مَا أحْببتُ البَقَاءَ: ساعةٌ ظمأ الهوَاجِرِ، والسجودُ في اللَّيلِ، ومجالسةُ أقْوامٍ يَنْتَقُونَ جَيِّدَ الكَلامِ كَمَا يُنْتَقَى أطايبُ الثَمَرِ»[4].

□ «وعن الخَلِيلِ بنِ أحمدَ الفَرَاهِيدِيِّ قَالَ: لا يَعْرِفُ الرَّجُلُ خَطأَ مُعَلِّمِهِ، حَتَّى يُجَالِسَ غَيْرَهُ»[5].

□ «قَالَ أبُو الزِّنَادِ: كُنَّا نَطُوفُ مَعَ الزُّهْرِيِّ عَلَى العُلَمَاءِ وَمَعَهُ الألْواحَ والصَّحفَ، يَكْتُبُ كُلَّمَا سَمِعَ»[6].

□ «الدَّارِمِيُّ: أخبْرنَا مَرْوانُ بنُ محمَّدٍ، حدثْنا سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ،

---

(١) التاريخ (٢٦/ ١٢٧).
(٢) الميزان (٢/ ٥٢٢).
(٣) التاريخ (٣١/ ٢٨٨).
(٤) السير (٢/ ٣٤٩).
(٥) السير (٧/ ٤٣١).
(٦) السير (٥/ ٣٢٩).

قَالَ: لا يُؤخَذُ العِلمُ مِنْ صَحَفِيٍ»[1].

□ «قال أحمدُ بنُ حَنْبَلٍ: ثنا عبدُ القُدُوسِ بنُ بَكْرٍ، عن محمَّد بنِ النضْرِ قَالَ: أوْلُ العلِّمِ الإنْصَاتُ، ثمَّ الاسْتِمَاعُ لَهُ، ثُم حِفْظُهُ، ثمَّ العَمَلُ بهِ، ثمَّ بثُّهُ»[2].

□ «عن الحَسَنِ قَالَ: إنَّ أزْهَدَ النَّاسِ في العَالِمِ جِيرانُه، وشَرَّ النَّاسِ لميِّتٍ أهلُه، يبْكُونَ عليْهِ ولا يَقْضُونَ دَيْنَهُ»[3].

□ «وقَالَ رُسْتَه: سمعتُ عبدَ الرَّحمٰن بنَ مهديَّ يقُولُ: إذَا لَقِيَ الرَّجلُ الرَّجلَ فَوْقَهُ في العِلْمِ، فَهُو يوْمُ غَنِيمَتِهِ، وإذَا لقِيَ مَنْ هُوَ مِثْلَهُ، دَارَسَهُ، وَتَعَلَّمَ مِنْهُ، وإذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ دُونَهُ، تَوَاضَعَ لَهُ، وعلَّمَهُ، ولا يكونُ إمامًا مَنْ حَدَّثَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، ولا مَنْ يُحدثُ بالشَّاذِ»[4].

□ «أنبأنا المؤَمَّلُ بنُ محمَّد وجماعةٌ قالوا: أخبرنا أبو اليُمن الكِندي، أخبرنا أبو منصُور القَزَّاز، أخبرنا أبُو بكرٍ الخطيبُ، أخبرنا أبو الحُسين بنُ بِشران، أخبرنا عُثْمَانُ بنُ محمَّد، حدثنا إسْحاقُ بنُ إبراهيمَ بن أبي حسَّان الأنمَاطيِّ، حدثنا أحمدُ بنُ إبراهيم ورَّاقُ خَلَفِ بنِ هِشَام أنَّه سِمعَ خلفًا يقولُ: قدمتُ الكوفةَ فصرْتُ إلى سُليم بنِ عيسَى، فَقَالَ لي: مَا أقْدمَكَ؟ قلتُ: أقرأُ عَلَى أبي بكْرِ بنِ عياشٍ. فَقَالَ: لا تُريده. قلتُ: بَلَى. فدعا ابنَه وكتبَ معَه إلى أبي بكر، لم أدر ما كتب، فأتينا منزِلَ أبي بكرٍ. قال ابنُ أبي حسَّان: وكان لخلفٍ تسعَ عشرة سنَة، فلمَّا قَرأَ الورقةَ قالَ: أدخلِ الرَّجلَ. فدخلتُ وسلمتُ، فَصَعَّدَ فيَّ النَظَرَ، ثم قالَ: أنتَ خلف؟ قلتُ: نعم. قالَ: أنتَ لمْ تُخْلِفَ ببغداد أحدًا أقرأُ منْكَ؟! فَسَكَتُّ. فَقَالَ لي: اقعد هات اقرأ. قلتُ: أعليك؟ قَالَ: نعم، قلتُ: لا والله لا أقرأ على رجلٍ يستصغرُ رجلًا مِنْ حملةِ

---

(١) السير (٨/ ٣٤).
(٢) التاريخ (١١/ ٣٥٤)، السير (٨/ ١٧٥).
(٣) السير (٨/ ٥١٦).
(٤) السير (٩/ ٢٠٣).

القرآنِ. ثمَّ خرجتُ، فوجَّه إلى سُليم يسأله أن يردَّني، فأبيتُ، ثمَّ إنِّي ندمتُ واحتجتُ، فكتبت، قراءةَ عاصمٍ، عن يحيى بنِ آدم، عن أبي بكر»[1].

□ «قال عمْرُو بن عليٍّ الفَلاس: مررتُ بمنى على قُتيبةَ، وعباسُ العنبريُّ يكْتبُ عنهُ، فجزْتُ ولم أحمِلْ عنهُ، فندمتُ»[2].

علي بن إبراهيم الرَّازي: حدثنا أحمد بن علي الرَّقَّام قال: سألتُ عبدَ الرَّحمٰن بن أبي حاتم عن اتفاق كثْرة السَّماع له، وسُؤالاته لأبيه؟ فقالَ: رُبَّما كان يأكل وأَقْرَأُ عليه، ويَمشي وأَقْرَأُ عليه، ويَدْخُلُ الخَلاَ وأَقْرَأُ عليه، ويَدْخُلُ البيْتَ في طلب شيءٍ وأَقْرَأُ عليه»[3].

□ «مبارك بن فضالة، عن هشام، عن أبيه، أنَّه كان يقول لنا ونحن شباب: ما لكم لا تعلَّمون، إنّ تكونوا صغارَ قومٍ يُوشِكُ أنْ تكونوا كبارَ قوم، وما خير الشيخ أن يكون شيخًا وهو جاهل. لقد رأيتُني قبل موت عائشة بأربع حِجَجٍ وأنا أقول: لو ماتت اليوم ما ندمتُ على حديثٍ عندها إلا وقد وعَيْتُه، ولقد كان يبلغني عن الصحابيِّ الحديثُ فآتيه، فأجده قد قال؛ فأجلس على بابه، ثم أسألُه عنه»[4].

□ «أخبرنا إسحاق الأسديِّ، أنبأنا ابنُ خليل، أنبأنا أبو المكارم، أنبأنا أبو عليٍّ، أنبأنا أبو نُعيم، حدَّثنا أبو أحمد محمد بن أحمد، حدَّثنا عبد الله بن شِيرُويه، حدَّثنا ابن راهوُيه، حدَّثنا محمد بن سلمة، والمحاربي، قالا: حدَّثنا ابنُ إسحاق، عن أبانَ بن صالح، عن مجاهد، قال: عرضْتُ القرآنَ على ابنِ عباس ثلاثَ عرْضات، أقِفُهُ عند كُلِّ آيةٍ أسأله: فيمَ نزلتْ؟ وكَيْفَ كَانَت؟»[5].

□ «قال الخطيبُ: قال لي الحسين بن علي الصَّيْمَرِيُّ: سمعتُ من الدَّارَقُطْني أجزاءً من سُنَنه، فقُرِئ عليه حديث غُوْرَك السَّعدِيُّ، عن جعْفر بن

---

(١) السير (١٠/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠).
(٢) السير (١١/ ١٨).
(٣) السير (١٣/ ٢٥٠ ـ ٢٥١).
(٤) السير (٤/ ٤٢٤)، التاريخ (٦/ ٤٢٥).
(٥) السير (٤/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧)، القراء (١/ ٦٦)، والتاريخ (٧/ ٢٣٦).

محمَّد في زكاة الخَيْلِ، فقال: غُوْرَك ومَنْ دُونَهُ ضُعفَاءٌ. فقِيل لَه: الَّذي روَاه عن غُوْرك هُو أبُو يُوسُف القَاضي! فقال: أَعْوَرٌ بَيْنَ عُمْيَانِ.

وَكَانَ الشَّيخ أبُو حَامدٍ الفَقِيه حَاضرًا، فَقَالَ: ألْحِقُوا هذَا الكَلام في الكِتَابِ. فَكَان ذَلِكَ سبَب انْقِطَاعِي عن مجْلس الدَّارَقطني، فليْتَني لم أفْعَل أيْشٍ ضرَّ أبَا الحسن انصِرافي؟»[1].

□ «حمَّاد بنُ سَلمَةَ، عن أيوبَ، عن أبي قِلابةَ: قالَ ابنُ مَسْعُودٍ: عليْكُم بالعلْم قبْل أن يُقْبضَ، وقبضُه ذهابُ أهلِهِ، فإنَّ أحدَكُم لا يَدْري مَتى يُفتقر إليه؟ وستَجِدُونَ أقْوامًا يزْعمُونَ أنَّهُم يدْعُونَكُم إلى كتَابِ اللهِ وقَدْ نَبْذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم، فَعَلَيْكُم بالعِلِم، وإيَّاكم والتَّبَدُّع، وإيَّاكُم والتَّنطُّع والتَّعمُّق، وعليْكُم بالعَتِيقِ»[2].

□ «قالَ مُوسَى بنُ نصْرٍ: سمعتُ هِشَامَ بنَ عبد الله الرَّازي يقولُ: لقيتُ ألفًا وسبْع مائةَ شيْخٍ، وخَرَجَ منِّي في طَلَب العِلْمِ سبْعُ مائةَ ألفَ درْهمٍ»[3].

□ «مبارك بن سعيد الثَّوْري، عن سُفيانَ، عن جعفر بن بُرْقان، قال وهبٍ: طُوبَى لمن شغلَهُ عيبُه عن عيْبِ أخيه، طُوبَى لمن تَوَاضَع لله مِنْ غيْر مَسْكَنَةٍ، طُوبَى لمن تَصَدَّقَ مِنْ مَالٍ جَمَعَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، طُوبَى لأهلِ الضُّرِّ وأهلِ المسْكَنَةِ، طُوبَى لمن جَالَسَ أَهْلَ العِلْم والحِلْم، طُوبَى لِمنْ اقْتَدَى بأَهْل العِلْمِ والحِلْمِ والخَشْيَةِ، طُوبَى لمنْ وَسِعَتْهُ السُّنَّةُ فَلَمْ يَعدُها»[4].

٥ ـ السعة عونًا على طلب العلم:

□ «قال سعيدُ بنُ عثمان الأعناقي: قدمنا مصر، فوجدنا يونسَ أمْرَهُ صعبًا، ووجدنا أحمدَ بن عبد الرحمٰن ابن أخي عبد الله بن وهب أسهل، فجمعنا له دنانير، وأعطيناه، وقرأنا عليه «موطأ» عمَّه وجامعه. وسمعتُ ابنَ

---

(١) التاريخ (٢٩/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦).
(٢) التذكرة (١/ ١٥ ـ ١٦).
(٣) التذكرة (١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨).
(٤) السير (٤/ ٥٥٢).

فُطيس يقول: فصار في نفسي، فأردتُ أن أسألَ محمدَ بنَ عبد الله بن عبد الحكم، فقلتُ: أصلحك اللهُ، العالمُ يأخذُ على قراءةِ العلم؟ فشعر فيما ظهر لي أنِّي إنما سألته عن ابنِ أخي ابنِ وهب، فقال لي: جائزٌ، عافاك الله، حلالٌ أنْ لا أقرأ لك ورقةً إلا بدرهم، ومَنْ أخذَني أن أقْعُدَ طولَ النَّهار، وأَدعَ ما يلزمُني من أسبابي، ونفقةِ عيالي؟!

□ «هذا الذي قاله ابنُ عبد الحكم مُتوجِّهٌ في حقِّ مُتَسَبِّبٍ يَفُوتُه الكَسْبَ والاحترافَ لتعوُّقه بالرواية لما قال عليُّ بن بيَان الرزَّاز الذي تفرَّد به بعُلوِّ جزءِ ابنِ عَرَفة، فكان يطلبُ على تسميعه دينارًا: أنتُم تطلبون منِّي العُلُوَّ، وإلا فاسمعوا الجزء من أصحابي، ففي الدرب جماعةٌ سمعوه مني، فإن كان الشيخُ عَسِرًا ثقيلًا لا شُغل له، وهو غنيٌّ، فلا يُعطي شيئًا. والله الموفق»[1].

□ «قال سفيان: وقال أبو إسحاق السَّبيعي: كانوا يرون السَّعةَ عونًا على الدِّين»[2].

□ «وقال روَّادُ بنُ الجرَّاح: سمعتُ الثَّوري يقولُ: كان المالُ فيما مضى يُكره، فأمَّا اليوم، فهو تُرْس المؤمن.

□ «ونظر إليه رجلٌ، وفي يدِه دنانير، فقال: يا أبا عبد الله! تُمْسِكُ هذه الدَّنانير!؟ قال: اسكُتْ، فلولاها لتمندل بنا الملوكُ.

قلتُ: قد كان سُفيان رأسًا في الزُّهْد، والتَّأَلُّه، والخوف، رأسًا في الحفظ، رأسًا في معرفة الآثار، رأسًا في الفقه، لا يخَاف في الله لومةَ لائمٍ، من أئمة الدِّين»[3].

□ «وقال أبو نُعيم: قال الثوري: لولا بُضَيَّعَتنا تَلاعب بنا هؤلاء»[4].

□ «قال عبد الرَّزَّاق: ما رأيتُ أحدًا أحفظَ لما عنده من الثَّوري، قيل

---

(١) السير (١٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣).
(٢) السير (٥/ ٣٩٦).
(٣) السير (٧/ ٢٤١)، تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٣٥).
(٤) تاريخ الإسلام (١٠/ ٢٣٥).

له: ما منعك أن ترحل إلى الزُّهري؟ قال: لم تكن دَرَاهم»[1].

□ «ورُوي عن الثَّوري قال: أُحِبُّ أن يكونَ صاحبُ العلمِ في كفايةٍ، فإنَّ الآفات إليه أسْرعُ، والألسنة إليه أسْرعُ»[2].

□ «قال سليمان بن عبد الحميد، عن يحيى الوُحَاظي: ما رأيتُ رجلًا كان أكبرَ نفسًا من إسماعيل بن عياش، كُنَّا إذا أتَيناه إلى مزرعته لا يرضى لنا إلا بالخروف والخَبيص. سمعتُه يقولُ: ورثتُ من أبي أربعة آلاف دينار، فأنفقتُها في طَلبِ العلم»[3].

□ «الفتح بن سخرف: حدثنا عباس بن يزيد، حدثنا حِبان بن موسى، قال: عوتب ابن المبارك فيما يُفرِّق من المال في البلدان دونَ بلده، قال: إنِّي أعرفُ مكان قومٍ لهم فضلٌ وصدقٌ، طلبُوا الحديث، فأحسنوا طَلبه لحاجة النَّاس إليهم، احتاجوا، فإن تركناهم، ضاعَ علمهم، وإن أعنَّاهم، بثُّوا العلم لأمة محمَّد ﷺ، لا أعلم بعد النبوة أفضلَ من بثِّ العلم»[4].

□ «وعن المسيِّب بن واضح قال: أرسل ابنُ المبارك إلى أبي بكر بن عياشٍ بأربعين ألف درهم، وقال: سُدَّ بهذه فتنة القومِ عنك»[5].

□ «أخبرنا ابنُ علَّان إذنًا، أخبرنا الكِنْدِيُّ، أخبرنا القزَّاز، أخبرنا الخطيب، حدثني مسعود بنُ ناصر، أخبرنا أبو الفضل بن محمد بن الفضل المُزَكِّي، أخبرنا أبو نصر أحمدُ بنُ الحُسين المرواني، سمعتُ زَنْجوَيه اللَّبَّاد، سمعتُ عبدَ الله بنَ كثير البَكْري، سمعتُ أحمد بن أَعْيَن بالمِصِّيصة، سمعتُ عليَّ بن عاصم يقول: دَفَع إليَّ أبي مئةَ ألف درهم، وقال: اذهبْ فلا أرى لك وجهًا إلا بمئة ألف حديث.

وبه إلى الخطيب: أخبرنا عبدُ الرحمٰن بنُ فضالة بالرَّيِّ، أخبرنا أبو نصر أحمدُ بنُ محمد بن جعفر بِبلْخ، حدثنا موسى بنُ محمد المُؤَدَّب، سمعتُ

---

(١) السير (٧/ ٢٤٦).
(٢) السير (٧/ ٢٥٤).
(٣) السير (٨/ ٣١٥).
(٤) السير (٨/ ٣٨٧)، التاريخ (١٢/ ٢٣٤).
(٥) السير (٨/ ٤٢٠).

أحمدَ بنَ إبراهيم بن حرب النَّيْسابُوري، سمعتُ عليَّ بن عاصم يقول: أعطاني أبي مئة ألف درهم، فأتيتُه بمئة ألف حديث، وكنتُ أُرْدِفُ هشيمًا خلفي ليسمع معي الشَّيء بعد الشيء»[1].

◘ «قال حُصَين بنُ عبد الرحمٰن: ما كان بيني وبين أن أَلقى ابنَ عبَّاسٍ إلا تسعة دراهم»[2].

◘ «كان أبو نُعَيم الفضْلُ بنُ دُكَيْن شَريكًا لعبد السلام المُلائي، كانا في حانوتٍ وبالكوفة يبيعان المُلاءَ وغيرَ ذلك، وكان كذلك غالبُ عُلماءِ السَّلَفِ إنَّما يُنْفِقُون من كسبهم»[3].

◘ «قال خُشْنَامُ بنُ سعيد: سمعتُ أحمدَ بنَ حنبل يقولُ: كان يحيى بن يحيى عندي إمامًا، ولو كانت عندي نفقةٌ، لرحلتُ إليه»[4].

◘ «قال ابنُ أبي حاتم: وحدثنا صالح بن أحمد، سمعتُ أبي يقول: لو كان عندي خمسونَ درهمًا، لخرجتُ إلى جرير إلى الري»[5].

◘ «قال حَمدانُ بن هانِئ المُقرئ: سمعتُ خلف بن هشام المُقرئ يقول: أشْكل عليَّ بابٌ من النحو، فأنفقتُ ثمانية ألف درهمٍ حتَّى حَذَقْتُه»[6].

◘ «وقال سهلُ بنُ المتوكِّل، سمعتُ محمَّدَ بنَ سلَّام البَيْكَنْدِي يقول: أَنفقتُ في طلبِ العلم أَربعين أَلفًا، وأنفقتُ في نَشْرِهِ أَربعين ألفًا، وليتَ ما أنفقتُ في طلبه كان في نَشْرِهِ، أو كما قال»[7].

◘ «وقال ابنُ عَدي: حدثني شيخ كاتب ذكر أنَّه قرابةُ يحيى بن معين، قال: كان معين على خَراج الريِّ، فماتَ فخلَّف ليحيى ابنه ألف ألفِ درهم، فأنفقه كله على الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسُه»[8].

---

(١) السير (٩/ ٢٥١ ـ ٢٥٢).
(٢) السير (٩/ ٢٥٣).
(٣) السير (١٠/ ١٤٢).
(٤) السير (١٠/ ٥١٤).
(٥) السير (١١/ ١٨٣).
(٦) السير (١٠/ ٥٧٨)، والتاريخ (١٦/ ١٥٥).
(٧) السير (١٠/ ٦٣٠)، التذكرة (٢/ ٤٢٢).
(٨) السير (١١/ ٧٧).

□ «قال ابنُ النَّفاح: حدثنا أبو عُمر، قال: قرأتُ على إسماعيل بن جعفر بقراءة أهل المدينة خَتْمةً، وأدركتُ حياةَ نافع، ولو كان عندي عشرةُ دراهم، لرحلتُ إليه»[1].

□ «قال الحسينُ بنُ الحسن بن سفيان: سمعتُ محمَّد بن يحيى الذُّهْلِيَّ يقول: ارتحلْتُ ثلاثَ رحلات، وأنفقتُ على العلم مئةً وخمسين ألفًا. ولما دخلتُ استقبلتني جِنازةُ يحيى بن سعيد القطان على باب البصرة»[2].

□ «قال صالحُ بنُ أحمد في «تاريخ هَمَذان»: وسمعتُ أبي يحكي عن ابن ماجَهْ القزْوِيني، أنَّه قال: مَنَعني الخروجَ إلى إبراهيم بن الحسن بن دِيْزيل قِلَّةُ اليَد»[3].

□ «وكان أبُو بكر محمَّد بنُ عبد الرَّحيم إمام القُرَّاء يقول: ارتحلتُ إلى مصر ومعي ثمانون ألف درهم، فأَنْفَقْتُها على ثمانين خَتْمة»[4].

□ «ذكر الخطيبُ أنَّ أبا الحُسين أحمد بنُ قاج الورَّاق ورثَ سبع مئة دينار، فاشترى بمجموعها كاغدًا في صفقةٍ، ومكث دهرًا يكتبُ فيه الحديث، رَحِمَهُ اللهُ»[5].

□ «قال الخطيبُ: سمعتُ القاضي أبا بكر محمد بن عمر الدَّاوودي، سمعتُ أبا حفص بنَ شاهين، يقول: حسبتُ ما اشتريت به الحبر إلى هذا الوقت، فكانَ سبع مئة درهم: قال الدَّاوودي: وكنا نشتري الحِبْرَ أربعة أرطالٍ بِدِرْهَم»[6].

□ «قالَ مُوسَى بنُ نصْرٍ: سمعتُ هِشَامَ بنَ عبد الله الرَّازي يقولُ: لقيتُ ألفًا وسبْع مائةَ شيْخٍ، وخَرَجَ منِّي في طَلَبِ العِلْمِ سبْعُ مائةَ ألفَ درْهمٍ»[7].

---

(١) السير (١١/ ٥٤٣).
(٢) السير (١٢/ ٢٨٣)، التذكرة (٢/ ٥٣١).
(٣) السير (١٣/ ١٨٨).
(٤) السير (١٤/ ٨٠ ـ ٨١)، معرفة القراء (١/ ٢٣٣).
(٥) السير (١٦/ ٤٩).
(٦) السير (١٦/ ٤٣٣).
(٧) التذكرة (١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨).

٦ ـ الدراية بعلوم الآلة:

□ «قال محمد بن بَركَة الحلبي: سمعتُ عُثمان خُرَّزاد يقول: يحتاجُ صاحب الحديث إلى خمسٍ: فإن عَدِمَتْ واحدةٌ فهي نقصٌ، يحتاجُ إلى عقلٍ جيدٍ، ودِينٍ وضبطٍ وحذاقةٍ بالصِّناعة، مع أمانةٍ تُعرف منه.

قلتُ: الأمانةُ جُزء من الدِّين، والضبطُ داخلٌ في الحِذْق، فالذي يَحتاج إليه الحافظُ: أن يكونَ تقيًّا ذكيًّا، نَحْويًّا لُغَويًّا، زكيًّا حييًّا، سَلَفيًّا، يكفيه أن يكتب بيده مئتي مُجَلَّد، ويُحصِّل من الدَّواوين المعتبرة خمسَ مئة مجلد، وأن لا يفْتُرَ من طَلَب العِلم إلى الممات، بنيَّةٍ خالصةٍ وتواضُعٍ، وإلَّا فلا يَتَعَنَّ»[(١)].

□ «أنبأني المُسلم بن علَّان، أخبرنا الكِنديُّ، أخبرنا الشَّيباني، أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا ابنُ رزق وأبو الفرج أحمد بنُ محمد، ومحمدُ بنُ الحسن، قالوا: أخبرنا أحمدُ بنُ كامل القاضي، حدَّثنا أبو العَيْناء قال: أتيتُ عبدَ الله بن داود الخُرَيْبي، فقال ما جاءَ بكَ؟ قلتُ: الحديث، قال اذهب فتحفَّظِ القرآنَ، قلتُ: قد حفظْتُ القرآنَ، قال: اقرأ ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ . . .﴾ [يونس: ٧١]. فقرأتُ العشر حتى أَنفذْتُه، فقال لي: اذهب الآن فتعلَّم الفرائضَ، قلت: قد تعلمتُ الصُّلْب، والجدَّ، الكُبَر. قال فأَيُّما أقربُ إليك: ابنُ أخيك أو عمُّك؟ قلت: ابنُ أخي، قال: ولم؟ قلتُ: لأن أخي من أبي، وعمِّي من جدي، قال: اذهب الآن، فتعلَّم العربيَّة، قال: قد علمتها قبل هذين، قال: فلمَ قال عمر ـ يعني: حين طُعِن ـ: يا لله، يا لِلْمسلمين، لم فتح تلك، وكسر هذه؟ قلتُ: فتح تلكَ اللام على الدُّعاء، وكسر هذه على الاستغاثة والاستنصار، فقال: لو حدَّثْتُ أحدًا، لحدَّثْتُك»[(٢)].

□ «وعن الشافعي قال: ما أردتُ بها ـ يعني: العربية والأخبار ـ إلا للاستعانةِ على الفقه»[(٣)].

□ «وعن الشافعي قال: أقدرُ الفقهاء على المناظرة مَن عوَّد لسانه الرَّكْضَ

---

(١) السير (١٣/ ٣٨٠).
(٢) السير (٩/ ٣٥١).
(٣) السير (١٠/ ٧٥).

في مَيْدان الألفاظ، ولم يتلعثم إذا رَمَقَتْه العيونُ بالألحاظ»[1].

◘ «قال أبو داود السِّنْجِي: سمعتُ الأصمعيَّ يقولُ: إنَّ أخوفَ ما أخافُ على طالبِ العلم إذا لم يَعْرف النحوَ أن يدخُلَ في جملة قوله ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عليَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَهُ من النَّار**»؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يكن يلحن، فمهما رَوَيْتَ عنه وَلَحَنْتَ فيه كذبت عليه»[2].

◘ «وقال أبو النَّضْر محمد بن محمد الفقيه: سمعتُ أبا عبد الله البُوسْنَجِيَّ يقول: مَنْ أراد الفِقْه والعِلم بغير أدبٍ، فقد افتحم أن يكذب على الله ورسوله»[3].

◘ «وقال بعضهم: كان أحمد بن فارس بن زكريا صاحب «المجمل في اللغة» إذا ذُكِرت اللُّغة فهو صاحب مُجْمِلها، لا بل صاحب المجمّل لها. وكان يحثُّ الفقهاء دائمًا على معرفة اللُّغة، ويُلقي عليهم ويُخْجِلهم ليتعلَّموا اللغة، ويقولُ: من قَصَرَ عِلْمَه على الفقه وغُولط غَلط»[4].

◘ «وكان أحمد بن سعيد بن حزم، أبو عمر الأديب، والد العلامة أبي محمد بن حزْم يقول: إنِّي لأتعجَّب ممَّن يَلْحَن في مخاطبةٍ، أو يجيء بلفْظَةٍ قلِقَةٍ في مُكَاتَبةٍ؛ لأنَّه إذا شكَّ في شيءٍ أنَّ يتركه ويطلب غيره، فالكلام أوسع من هذا.

قلتُ: هذا لا يقولُه إلَّا المتبحِّر في اللُّغة والعربيَّة . رَحِمَهُ اللهُ»[5].

◘ «قال محمَّدُ بنُ عبد الله بن عمَّار: كان ابنُ إدريس إذا لَحَنَ أحدٌ في كلامه، لم يُحدِّثْه»[6].

◘ «قال عبدُ الغافر: أمَّا شيخُنا ابنُ خلفٍ فهو الأديب، المُحدِّث، المُتقِن، الصحيحُ السماعِ أبو بكر، ما رأيت شيخًا أورَع منه، ولا أشدَّ إتقانًا، حصلَ على حظٍّ وافرٍ من العربية، وكان لا يُسامح في فواتٍ لفظةٍ مما يُقرأُ

---

(١) التاريخ (١٤/ ٣٢٦).
(٢) التاريخ (١٥/ ٢٧٧)، السير (١٠/ ١٧٨).
(٣) التاريخ (٢٢/ ٢٣٧).
(٤) التاريخ (٢٧/ ٣١٠).
(٥) التاريخ (٢٨/ ٥٥).
(٦) السير (٩/ ٤٤).

عليه، ويُراجع في المشكلاتِ، ويُبالغ»[1].

□ «قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الرَّازي الخطيب: وسمعتُ عبد الرَّحمٰن بن أبي حاتم يقول: لم يَدعْني أبي أشتَغِلَ في الحديث حتى قرأتُ القُرآن على الفَضل بن شاذان الرَّازي، ثم كتبتُ الحديث»[2].

□ «قال محمد بن الفضل بن محمد: سمعتُ جدِّي يقول: استأذنتُ أبي في الخروج إلى قُتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولًا حتَّى آذن لكَ. فاستظهرتُ القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلِّي بالختمة. ففعلتُ، فلمَّا عيَّدنا، أذن لي، فخرجتُ إلى مرو، وسمعتُ بِمَروِالرُّوذِ من محمد بن هشام ـ صاحب هُشيم، فنُعيَ إلينا قُتيبة»[3].

□ «سلم بن قُتيبة، قال شعبة: يا قوم! كُلَّمَا تقدمتم في الحديث تأخرتم في القرآن»[4].

٧ ـ الاهتمام بعلوم الحديث، وبيان فضل أهله:

□ «فعلي بن موسى القُمِّي، وأبو سعيد كانا عالمَي خُراسان في مذهب أبي حَنيفة، تخرَّج بهما جماعةٌ من الكبار، وكان معَهُما في البلد من أئمَّة الأثَر مثل ابن خُزَيْمَةَ، وأبي العبَّاس السرَّاج، وعدَّة، فكان المحدِّثون إذ ذاك أئمَّة عالمين بالفقه أيضًا، وكان أهلُ الرَّأي بُصَراء بالحديث، قد رحلوا في طلبه، وتقدَّموا في معرفته. وأمَّا اليومَ، فالمحدِّثُ قد قَنِعَ بالسِّكةِ والخُطْبة، فلا يفقه ولا يحفَظ، كما أنَّ الفقيهَ قد تشبَّثَ بفقهٍ لا يُجِيد معرفتَه، ولا يَدري ما هُو الحديثُ؛ بل الموضوعُ والثابتُ عندَهُ سواءٌ، بل قد يعارضُ ما في الصَّحيح بأحاديثَ ساقِطَةٍ، ويُكَابِرُ بأنَّهَا أصحُّ وأقوى. نسألُ اللهَ العَافِيَةَ»[5].

□ «فَهَؤُلاءِ المُسْلِمُونَ فِي هذه الطَّبقةِ الثامِنَةِ هُم ثقاتُ الحُفَّاظِ، ولعلَّ قد

---

(١) السير (١٨/ ٤٧٩).
(٢) السير (١٣/ ٢٦٥).
(٣) السير (١٤/ ٣٧١ ـ ٣٧٢)، التذكرة (٢/ ٧٢٢).
(٤) التذكرة (١/ ١٩٦).
(٥) السير (١٤/ ٢٣٦).

أهملنَا منْ نُظرائِهم، فإنَّ المجلسَ الوَاحِدَ فِي هذَا الوقتِ كانَ يجْتمعُ فيه أزيدَ من عشرة آلافِ محْبرةٍ، يكتُبُون الآثارَ النَّبويَّةَ، ويَعْتَنُونَ بِهذَا الشَّأْنِ، وبينهُم نحو منْ مائتَي إمامٍ قد بَرَزُوا وتأهْلُوا للفُتيا، فلقدْ تفَانى أصْحَابُ الحديثِ وتَلاشَوا، وتبَدَّلَ النَّاسُ بِطَلبةٍ يَهْزَأُ بِهِم أعْداءُ الحديثِ والسُّنَّةِ، ويسْخَرُون منهُم، وصَارَ عُلَماءُ العصْرِ في الغالبِ عَاكِفِينَ على التَّقْليدِ في الفُرُوعِ، مِنْ غَيْرِ تَحْريرٍ لها، ومُكِبِّينَ عَلى عقْلِياتٍ مِنْ حكْمَةِ الأوائِلِ، وآراءِ المُتَكَلِمِينَ، من غَيْرِ أنْ يَتَعَقَّلُوا أكْثرها، فعَمَّ البلاءُ، واسْتَحْكَمَتُ الأهْواءُ، ولاحتْ مَبَادئُ رفْعِ العلْمِ وقبْضِهِ منَ النَّاسِ، فرَحِمَ اللهُ امرأً أقْبَلَ عَلَى شأْنِهِ، وقَصَرَ مِنْ لِسَانِه، وأقْبَلَ عَلَى تِلاوةِ قرآنِه، وبَكَى عَلى زَمَانِه، وأَدْمَنَ النَّظَرَ في الصَّحِيحِينِ، وعَبَدَ الله قَبْلَ أنْ يَبْغَتَهُ الأَجَلُ. اللَّهُم فَوَفقْ وارْحَم»[1].

□ «ولقدْ كَانَ فِي هذَا العَصْرِ من أهْلِ الطَبَقةِ التَّاسِعَةِ ومَا قَاربَه من أئمَةِ الحَدِيثِ النَّبَويِّ خَلْقٌ كثيرٌ، وما ذَكَرْنَا عُشْرهم هُنا، وأكثرُهُم مذكُورُون في تَاريخِي، وكَذَلِكَ كان في هَذَا الوَقْتِ خلقٌ مِنْ أئمَة أهْل الرأي والفرُوعِ وعددٌ مِنْ أسَاطِينِ المعتزلة والشيعةِ وأصحابِ الكلامِ الذين مشَوا وراءَ المعقُولِ، وأعْرضُوا عمَّا عليْه السَّلف من التمسُّك بالآثارِ النبويَّةِ، وظَهَرَ في الفُقْهَاءِ التَّقليدَ، وتناقصَ الاجتهادَ، فسُبحانَ مَنْ لَه الخلقُ والأمرُ، فبالله عليْكَ يا شيخُ ارفقْ بنفسكَ، والزمْ الإنصَافَ، ولا تنظُرْ إلى هؤلاءِ الحفاظِ النَّظَرَ الشَزَرَ، ولا ترمقُهُم بعينِ النَّقْصِ، ولا تعْتَقِدَ فيْهم أنَّهُم من جِنْسِ مُحْدِثِي زَمَانِنَا، حاشَا وكلا، فمَا في مَنْ سَميتُ أحد ولله الحمْد إلا وهُو بصيرٌ بالدِّينِ، عالمٌ بسبيلِ النَّجَاةِ، وليسَ في كِبَارِ مُحدثِي زَمَانِنَا أحدٌ يبلغُ رتبةَ أولئِك في المعْرِفَةِ، فإنِّي أحْسِبُك لفَرْطِ هَوَاكَ تقولُ بلسانِ الحالِ إنْ أعْوَزَكَ المقالُ: مَنْ أحمدُ؟ ومَا ابنُ المَدِيني؟ وأيُّ شيءٍ أبُو زُرْعَةَ وأبُو دَاودَ؟ هؤلاءِ مُحدِّثُونَ ولا يَدْرُونَ ما الفقْه،

---

(١) التذكرة (٢/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠).

وما أصُوله؟ ولا يفْقَهُون الرأيَّ، ولا عِلْمَ لهُم بالبيانِ والمعانِي والدقائقَ، ولا خبرةَ لهُم بالبرهانِ والمنطِقِ، ولا يعرفُون الله تعالى بالدِّليل، ولا هُم مِنْ فُقَهَاءِ الملَّةِ.

□ «فاسْكُتْ بحلمٍ، أو انطقْ بعلمٍ، فالعلمُ النَّافعُ هو النَّافعُ مَا جَاءَ عن أمْثَالِ هؤُلاء، ولكنْ نِسْبَتُكَ إلى أئمَّةِ الفقهِ كنسْبَةِ مُحدِثِي عصْرِنَا إلى أئمَّةِ الحَديثِ، فلا نْحن ولا أنْتَ، وإنَّمَا يَعْرِفُ الفضْلَ لأهلِ الفضْلِ ذُو الفضْلِ، فمنِ اتَّقَى اللهَ رَاقَبَ اللهَ واعْتَرفَ بنقصْهِ، ومَنْ تَكَلَّمَ بالجَاهِ وبالجَهْلِ أو بالشَّره والبآوِ فأعْرضْ عنْهُ، وذرْه في غيِّه، فَعُقْبَاهُ إلى وَبَالٍ. نَسْألُ اللهَ العَفْوَ والسَّلامَةَ»[1].

□ «متى رأيتَ الصوفيَّ مُكِبًّا على الحديث فثِقْ به، ومتى رأيتَه نائيًا عن الحديث، فلا تفرح به، لا سيما إذا انْضاف إلى جهلِه بالحديث عكُوفُ على تُرهات الصوفيَّة، ورمُوزِ الباطنية، نسألُ الله السلامة، كما قال ابنُ المبارك:

وَهَلْ أفسَدَ الدِّين إلا الملوكُ ... وأحبارُ سُوءٍ ورُهْبانُها»[2]

□ «أحمد بن محمَّد الزَّاهِد، سمعتُ أبَا يَعْلى عبدَ الوَّاحِدِ بنِ قُسَيْم الزَّاهِد بالمُوصِل، سمعتُ عُبيْد الله بنَ محمَّد بن وَهْبٍ، عن أبيهِ، عن أبِي بكر المُرادي المَرْوَزِيِّ، عن أحمدَ بنِ حنْبَلٍ قَالَ: مَا النَّاسُ إلَّا أصْحَابَ الحدِيثِ، فَإِذَا رأيْتَ الرَّجُلَ قَدْ كَتَبَ الحَدِيثَ ثمَّ تَرَكَهُ فَاتَّهِمَهُ.

□ ثمَّ قَالَ أحمْدُ: هذَا أيُّوبُ، وابنُ عَوْنَ، ويُونسُ بنُ عُبَيْدٍ، وسُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ، مَا عَرَفُوا إلَّا الحَدِيثَ، وهَلْ رأيْتَ في الدُّنيَا مِثْلَ هؤُلاءِ؟!»[3].

□ «ويُرْوَى بطريقيْنِ عن الشَّافعيِّ قَالَ: إذَا رأيْتُ رَجُلًا مِنْ أصْحَابِ الحَدِيثِ، فَكَأَنِّي رأيْتُ رَجُلًا مِنْ أصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، جَزَاهُمُ اللهُ خيرًا، هُمْ حَفَظُوا لَنَا الأَصْلَ، فَلَهُم عَلَيْنَا الفَضْلُ»[4].

---

(١) التذكرة (٢/ ٦٢٧ ـ ٦٢٨).
(٢) السير (١٢/ ٢١٣).
(٣) معجم الشيوخ (١/ ٤٢٢).
(٤) السير (١٠/ ٥٩ ـ ٦٠).

□ «محمَّدُ بنُ أحمْدَ الجَارُودِيُّ، أخبرنَا أبُو إسْحَاقَ القَرَّابُ، أخبرنَا أبُو يحيى السَّاجِيُّ، عن البُويطي، سمعتُ الشَّافِعيَّ يقُولُ: عليْكُم بأصْحَابِ الحَدِيثِ، فإنَّهُم أكثرُ النَّاسِ صوابًا.

ويُروى عن الشَّافعيِّ: لَوْلا المَحَابِرُ لخَطبَت الزَّنَادقةُ علَى المنَابِرِ»[1].

□ «وقَالَ محمَّدُ بنُ وَزِيرِ الواسِطِي: سمعتُ يزيدَ بنَ هَارُونَ يقُولُ: قلتُ لحمَّادِ بنِ زيْدٍ: هَلْ ذَكَرَ اللهُ أصْحَابَ الحَدِيثِ في القُرْآنِ؟ قَالَ: بَلَى، اللهُ تَعَالى يقُولُ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ . . .﴾ الآية [التوبة: ١٢٢]»[2].

□ «قرأتُ على ابنِ الخلَّالِ، أنا ابن اللَّتِي، أنا أبو الوَقْت، أنا شيخُ الإسلام عبدُ الرَّحمٰن بنَيْسَابُور: سمعتُ الحسين الدَّقيقيّ يقولُ: سمعتُ سَهْلَ بنَ عبد الله يقولُ: مَنْ أَرَادَ الدُّنيا والآخِرَةَ فلْيَكْتُبْ الحديثَ، فإنَّ فيه منفعةُ الدُّنيا والآخرة.

قلتُ: هكذا كان مشَايخُ الصُّوفية في حِرْصِهم على الحديث والسُّنَّة، لا كَمَشَايخ عصرنا الجَهَلَة البَطَلَة الأَكَلَة الكَسَلَة»[3].

□ «قال موسى بن هارون: سُئل أحمد بن حنبل: أين نطلُب البدلاء؟ فسكت ثم قال: إنْ لم يكن مِن أصحاب الحديث فلا أدري»[4].

□ «قال صالح بنُ حاتِم بن وَرْدان: سمعتُ يزيد بنَ زُريع يقول: لكُلِّ دينٍ فُرْسان، وفرسانُ هذا الدِّين أصحابُ الأسانيد»[5].

□ «قال شقيق البَلْخي: قيل لابن المبارك: إذا أنت صلَّيت لم لا تجلِسُ معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، انظر في كتبهم وآثارِهم، فما أصنعُ مَعَكم؟ أنتم تغتابون الناس.

وعن ابن المبارك قال: لِيكن عمدتكُم الأثرُ، وخذوا من الرأي ما يُفسِّر لكم الحديث»[6].

---

(١) السير (١٠/ ٧٠).
(٢) السير (٧/ ٤٦٠).
(٣) التاريخ (٢١/ ١٨٧).
(٤) السير (١١/ ٢١٥، ٢٩٦).
(٥) السير (٨/ ٢٩٨).
(٦) السير (٨/ ٣٩٨).

□ «قال محمدُ بنُ إسماعيل الترمذيُّ: كنتُ أنا وأحمدُ بنُ الحسن الترمذي عند أحمدَ بنِ حنبل، فقال له أحمدُ: يا أبا عبد الله، ذكروا لابنِ أبي قتيلة بمكةَ أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قومُ سوء، فقام أبو عبد الله ينفضُ ثوبَه، ويقولُ: زنديق، زنديق، ودخل البيت»[1].

□ «ابن عدي: حدثنا عبدُ المؤمن بن أحمد الجرجاني، سمعتُ عمَّار بنَ رجاء، سمعتُ أحمد بن حنبل، يقول: طلبُ إسناد العُلوِّ من السُّنَّة»[2].

□ «قال محمد بن أبي حاتم: وأملى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري يومًا عليَّ حديثًا كثيرًا، فخاف مَلالي، فقال: طِبْ نفسًا، فإنَّ أهلَ الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم. وأنتَ مع النبيِّ ﷺ وأصحابه»[3].

□ «قَبيْصَةُ: سمعتُ سُفْيَانَ الثَّورِيَّ يقُولُ: الملائِكَةُ حُرَّاسُ السَّمِاءِ، وأصْحَابُ الحِدِيثِ حُرَّاسُ الأرْضِ.

وقَالَ يحيى بنُ يَمَانَ: قِيلَ لسُفْيانَ: ليْسَتْ لهُم نيةٌ ـ يعني: أصْحَابَ الحَدِيثِ ـ؟ قَالَ: طَلَبُهُم لَهُ نِيَّةٌ، لَوْ لَمْ يأتِني أصْحَابُ الحَدِيثِ لأتيتُهُم فِي بُيُوتِهم.

وقَالَ الخُرَيْبِي: سمعتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: ليْسَ شيءٌ أنْفَعُ للنَّاسِ مِنَ الحَدِيثِ»[4].

□ «قال أبو عُبيد: سمعتُ أبا داود يقول: الحديث رِزْق»[5].

□ «روى أبو زُرْعة الطَّبَري، عن ابن دُرُسْتُوَيْه، صاحب سَهل، قال: قال سهْلٌ، ورأى أصحابَ الحديثَ، فقال: اجهَدوا أنْ لا تَلْقُوا الله إلا مَعَكُم المحابِر.

---

(١) السير (١١/ ٢٩٩).
(٢) السير (١١/ ٣١١).
(٣) السير (١٢/ ٤٤٥).
(٤) السير (٧/ ٢٧٤).
(٥) السير (١٣/ ٢٠٩).

ورُوي في كتاب «ذمِّ الكلام»: سُئِلَ سَهْل: إلى مَتى يكتبُ الرَّجُلُ الحديثَ؟ قالَ: حتى يموتَ، ويُصَبُّ باقي حِبْره في قبرِه»[1].

□ «وقيل إنَّ سهل بن عبد الله أتى أبا دَاود، فقالَ: أخرِجْ لي لِسَانَكَ هذا الَّذي حدثْتَ به أحاديثَ رسولِ الله ﷺ حتى أقَبِّلَه. فأخرَجَه لَه»[2].

□ «قال محمد بن مَخْلد العَطَّار: سمعتُ إبراهيم الحَرْبي يقول: لا أعلم عِصَابةً خيرًا من أصْحاب الحديث، إنَّما يغدُو أحدُهُم، ومعه مِحبرة، فيقولُ: كيفَ فعل النَّبي ﷺ، وكيف صَلَّى، إيَّاكم أن تجلسُوا إلى أهل البِدَع، فإنَّ الرَّجُل إذا أقبل بِبِدْعَة ليس يُفْلِح»[3].

□ «أخبرنا أبو الحسين عليُّ بنُ محمد، والحسنُ بنُ علي قالا: أخبرنا أبو الفضل الهَمْدَاني، أخبرنا أبو طاهر السِّلفي، أخبرنا المؤتمنُ بنُ أحمد، سمعتُ أبا سعْدٍ الحَرَمِي الحافظ يقول: لا يَصبِرُ على الخَلِّ إلا دُودُه، يعني: لا يصبرُ على الحديث إلا أهلُهُ»[4].

□ «قال السمعاني أبو سعد: حدثنا عبدُ الخالق الشّحَّامي، حدثنا صاعدُ بنُ سيَّار الحافظُ إملاءً، حدثنا عبدُ الجليل بنُ محمد بن عبد الواحد بالمدينة، أخبرنا أبو الحسن الخَرجاني، أخبرنا ابنُ خُرَّزاذ، حدثنا عليُّ بنُ رَوْحان، حدثنا أحمدُ بنُ سِنان، سمعتُ شَيبان بن يحيى يقول: ما أعلمْ طريقًا إلى الجنة أقصدَ ممَّن يسْلُكُ طريقَ الحديثِ»[5].

□ «وكِتَابَةُ الخطيبِ مَليحةٌ مُفَسَّرَةٌ، كَامِلَةُ الضَبْطِ، بها أجْزَاءٌ بدمشْقَ رأيتُهَا. وقرَأْتُ بخطِّه: أخبرنَا عليُّ بنُ محمَّد السَّمْسَارُ، أخبرنَا ابنُ المُظفَرِ، حدثَنَا عبدُ الرَّحمن بنُ محمَّد بنِ أحمدَ بنِ محمَّد بنِ الحجَّاجِ، حدثَنَا جعفرُ بنُ نُوحٍ، حدثنَا محمَّد بنُ عِيْسَى، سمعتُ يَزِيدَ بنَ هارُونَ يقُولُ: مَا عَزَّتِ النَّيةُ في

---

(١) السير (١٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).
(٢) السير (١٣/ ٣٣١).
(٣) السير (١٣/ ٣٥٨).
(٤) السير (١٩/ ٢٠٣)، التذكرة (٤/ ١٢٢٩).
(٥) السير (٢٠/ ٣٣١).

الحَدِيثِ إلا لِشَرَفِهِ»[1].

□ «وقال عبيدُ الله بنُ سَعِيدٍ: سمعتُ ابنَ مَهْدِي يقولُ: لا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ إِمَامًا حَتَّى يعْلَمَ مَا يَصِحُ ممَّا لا يَصِحُ»[2].

□ «ومن نَظْمِ الحافظِ أبي القاسمِ بن عساكر:

أَلَا إِنَّ الحديثَ أَجَلُّ عِلْمٍ ... وأَشْرَفُهُ الأَحَادِيثُ العَوَالي
وأَنْفعُ كُلِّ نوعٍ مِنْهُ عِندِي ... وأَحْسَنُهُ الفوائِدُ والأَمالِي
فإِنَّكَ لنْ تَرَى لِلعِلْمِ شيئًا ... تُحَقِّقُهُ كأَفْواهِ الرِّجَالِ
فكُنْ يا صَاحِ ذا حِرْصٍ عليهِ ... وخُذْهُ عن الشُّيوخِ بِلا مَلالِ
ولا تأْخُذْهُ مِن صُحُفٍ فَتُرْمى ... مِنَ التَّصْحِيفِ بالداءِ العُضَالِ»[3]

□ «أنشدنا أبو الحسن الحافظُ: أخبرنا جَعْفَرٌ السِّلَفيُّ، أخبرنا ابنُ الطُّيُوري، أنشدنا الصَّوريُّ لنَفْسِه:

قُلْ لَمنْ عانَدَ الحَديثَ وأَضْحَى ... عائِبًا أَهْلَهُ ومَنْ يدَّعِيهِ
أبِعِلْمٍ تَقُولُ هذا أَبِنْ لي ... أَمْ بِجَهْلٍ فالجَهْلُ خُلقُ السَّفِيْهِ
أَيُعَابُ الذين هُم حَفِظُوا الدِّيـ ... ـنَ مِن التُّرَّهَاتِ والتَّمْوِيه
وإلى قَوْلِهِم وما قَدْ رَوَوْهُ ... راجِعٌ كُلُّ عالِمٍ وَفَقِيهِ»[4]

□ «ولابن حزْمٍ:

أَنَائِمٌ أَنْتَ عَن كتبِ الحديث وما ... أتى عَنِ المُصطَفى فيها مِنَ الدِّينِ
كَمُسْلِمٍ والبُخَاريِّ اللَّذَيْن هُمَا ... شَدَّا عُرَى الدينِ في نَقْلٍ وَتَبْيينِ
أَوْلَى بِأَجْرٍ وتَعْظِيم وَمَحْمَدَةٍ ... مِنْ كُلِّ قَوْلٍ أَتى من رَأْى سُحْنُونِ
يَا مَنْ هَدَى بِهِمَا اجْعَلْنِي كَمِثْلِهِما ... فِي نَصْرِ دِينِكَ مَحضًا غَيْرَ مَفْتونِ»[5]

□ «قال السِّلفي: أنشدنا السَّراجُ لنفسه:

---

(١) السير (١٨/ ٢٨٥)، التاريخ (٣١/ ١٠٦).
(٢) التذكرة (١/ ٣٣٠).
(٣) السير (٢٠/ ٥٦٩).
(٤) السير (١٧/ ٦٣١)، التذكرة (٣/ ١١١٧).
(٥) السير (١٨/ ٢٠٩).

لله دَرُّ عِـــصَـــابَـــةٍ يَـسْـعَـوْنَ فـي طَـلَـبِ الـفَـوَائِـد
يُـدْعَـوْنَ أَصْـحَـابَ الـحَـدِ يـثِ بِـهِـمْ تَـجَـمَّـلَـتِ الـمَـشَـاهِـدْ
طَـوْرًا تَـرَاهُـم بـالـصَّـعـيـ ـدِ وَتَـارَةً فـي ثَـغْـرِ آمِـدْ
يَـتَّـبِّـعُـونَ مِـنَ الـعُـلُـو مِ بِـكُـلِّ أَرْضٍ كُـلِّ شَـارِدْ
وَهُـمُ الـنُّـجُـومُ الـمُـقْـتَـدى بِـهِـمُ إلى سُبُلِ الـمَـقَـاصِـدْ»[1]

ومن نظْم عليِّ بنِ المفَضَّلِ أبي المَكَارِم:

أَيَا نَفْسُ بالمَأْثُورِ عَنْ خَيْرِ مُرْسَلٍ وأَصْحَابِهِ والتَّابِعِينَ تَمَسَّكِي
عَسَاكِ إِذَا بَالَغْتِ في نَشْر دِينهِ بِمَا طَابَ مِنْ نَشْرٍ لَهُ أَنْ تَمَسَّكِي
وَخَافِي غَدًا يَوْمَ الحِسَابِ جَهَنَّمًا إِذَا نَفَحَتْ نِيرَانُها أَنْ تَمَسَّكِ»[2]

□ «ومن شِعْر عبد المُحْسِن بنِ حمُّود التَّنُوخِيِّ:

اشتَغِلْ بِالحَدِيثِ إِنْ كُنْتَ ذَا فَهْـ مٍ فَـفِـيـهِ الـمُـرادُ والإِيـثَـارُ
فَـهُـوَ لـلـعِـلْـمِ مُـعْـلَـمٌ وبِـهِ بـيـنَ ذَوِي الـدِّينِ تَـحْسُنُ الآثَارُ
إِنَّـمَـا الـرَّأْيُ والـقِـيـاسُ ظَـلامٌ والأَحَـادِيـثُ لِـلْـوَرى أَنْـوَارُ
كُـنْ بِـمَـا قَـدْ عِـلـمْـتَـهُ عَـامِـلًا بِـالأَحَادِيثِ لَنْ تَمَسَّكَ النَّارُ»[3]

□ «أخبرنا ابنُ عِلَّان إجازةً، عن القاسم بنِ عليِّ بنِ عَسَاكر، أنا أبِي، أنشَدنَا أبُو سعدٍ السَّمْعاني بدمشق، أنشَدنَا أبُو العِزِّ محمَّد بنُ عليٍّ، أنشَدنَا أبو طَاهرٍ أحمد بنِ محمَّدٍ الحافظُ لنفسه بِميَافَارِقِين:

إنَّ عِـلْـمَ الـحَـدِيـثِ عِـلْـمُ رِجَـالٍ تَـرَكُـوا الابْـتِـدَاعَ لـلاتِّـبـاعِ
فـإِذَا جَـنَّ لَـيْـلُـهـم كَـتَـبُـوه وَإِذَا أَصْـبَـحُـوا غَـدَوا لـلـسَّـمَـاعِ

أَنْشَدَنَا بِعِلُوٍ: أبُو الحُسَيْنِ اليُونِيني، أَنَا جَعْفَرٌ بنُ عَلِيٍّ، أَنْشَدَنَا السِّلَفِي، فَذَكَرَهُمَا»[4].

---

(١) السير (١٩/ ٢٣٠ ـ ٢٣١).
(٢) السير (٢٢/ ٦٩).
(٣) التاريخ (٤٧/ ١٨١ ـ ١٨٢).
(٤) التذكرة (٤/ ١٣٠٣).

٨ ـ حرص الوالدين على تعليم أبنائهم:

◘ «أخبرنا ابنُ علَّان إذنًا، أخبرنا الكِنْدِيُّ، أخبرنا القزَّاز، أخبرنا الخطيب، حدثني مسعود بنُ ناصر، أخبرنا أبو الفضل بن محمد بن الفضل المُزَكِّي، أخبرنا أبو نصر أحمدُ بنُ الحُسين المرواني، سمعتُ زَنْجوَيه اللَّبَّاد، سمعتُ عبدَ الله بنَ كثير البَكْري، سمعتُ أحمد بن أَعْين بالمِصِّيصة، سمعتُ عليَّ بن عاصم يقول: دَفَعَ إليَّ أبي مئة ألف درهم، وقال: اذهبْ فلا أرى لك وجهًا إلا بمئة ألف حديث.

وبه إلى الخطيب: أخبرنا عبدُ الرحمٰن بنُ فضالة بالرَّيِّ، أخبرنا أبو نصر أحمدُ بنُ محمد بن جعفر بِبلْخ، حدثنا موسى بنُ محمد المُؤَدِّب، سمعتُ أحمدَ بنَ إبراهيم بن حرب النَّيْسابُوري، سمعتُ عليَّ بنَ عاصم يقول: أعطاني أبي مئة ألف درهم، فأتيتُه بمئة ألف حديث، وكنتُ أُرْدِفُ هشيمًا خلفي ليسمع معي الشَّيء بعد الشيء»[1].

◘ «وقَالَ زَيْدُ بنُ أَخْزَمَ: سمعتُ الخُرَيْبيَّ يقُولُ: نَوْلُ الرَّجُل أنْ يُكْرِهَ وَلَدَهُ عَلَى طَلَبِ الحَدِيثِ»[2].

◘ «قال القاضي عبد الصمد في تاريخه: سمعت محمد بن عوف يقول: كنت ألعب في الكنيسة بالكرة، وأنا حدث، فدخلتْ الكرة إلى المسجد، فوقعت بالقرب من المُعافي بن عِمْران، يعني: الحمصي، فدخلتُ لآخذها، فقال: ابن من أنت؟.

قلت: ابن عُوف.

قال: أما إنَّ أباك كان من إخواننا، وكان ممَّن يكتب معنا العلم والذي يشبهك أن تتَّبع ما كان عليه والدك.

فصرت إلى أمِّي فأخبرتها، فقالت: صدق يا بُنَّي. فألبستني ثوبًا وإزارًا،

---

(١) السير (٩/ ٢٥١ ـ ٢٥٢).

(٢) التاريخ (١٥/ ٢٠٦)، التذكرة (١/ ٢٣٨).

ثمَّ جئت إليه ومعي محْبرةٌ وورق، فقال لي: اكتُب؛ ثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد ربِّه بن سليمان قال كتبت لي أمُّ الدرداء في لَوْحي: «اطلبوا ممّا يعلمني العِلم صِغارًا تعملوا به كِبارًا، فإنَّ لكل حاصِدٍ ما زرعَ»[1].

٩ ـ تقييد العلم:

□ «قَالَ أبُو صَالح الفَرَّاءُ: سألتُ ابنَ المُبَارِكِ عنْ كِتَابَةِ العِلْم؟ فَقَالَ: لوْلا الكتابُ ما حفظنا»[2].

□ «أخبرنا إسماعيلُ بنُ عبد الرَّحمٰن، وعليُّ بنُ محمَّد قَالا: أخبرنَا الحسنُ بنُ صباح، أخبرنَا ابنُ رفاعة، أخبرنا أبُو الحسنَ الخِلَعِيُّ، أخبرنَا عبد الرَّحمٰن بنُ عُمَرَ، حدثنا حمزةُ بنُ محمَّد الحافظُ، سمعتُ الصَّيْدلانيَّ عبَاسًا الدُوريَّ، سمعتُ يحيى بنَ مَعِينَ يقُولُ: إذَا رأيْتَ الرَّجُلَ يخْرُجُ مِنْ منزِلِه بِلا مِحْبَرةٍ ولا قَلَم يطْلُبُ الحديثَ، فقدْ عَزَمَ عَلَى الكِذْبَةِ»[3].

□ «ومحمَّدُ بنُ الوَزير عَمِيدُ الرُؤَسَاءِ، المَراتبي القَائلُ: الكُتَّابُ سَبَعَةٌ: الكَامِلُ الذِي يُنْشِئُ ويُملي ويَكتب، والأعْزَلُ: وهُو المُنْشِئُ ولا خَطَّ لُه، والثَّالثُ: المُبْهِمُ: وهُو صَاحِبُ الخَطّ ولا إنْشَاءَ لَهُ، الرابعُ: الرُّقاعي: وهو من يجيدُ رُقْعَةً ولا حَظَّ لَهُ في طُولِ نَفَسٍ، الخَامِسُ: المُخَبِّلُ: وهُو ذُو الحِفْظِ والروايةِ، ولا عِبَارةَ لَهُ، فَيجيءُ منْه نَديم، السَّادِسُ: المُخلِّطُ: وهُو الآتي بدُرِّهِ مَعَ بَعْرِهِ، السَّابِعُ: السُّكِّيتُ: وهو الذي يُجهد نفسه حتى يأتي بما يُسْتَحْسَنُ»[4].

□ «معمَرٌ: أنبأ صالح بنُ كَيْسَانَ قَالَ: اجتمعْتُ أنَا والزُّهْريُّ نطلُبُ العلمَ، فقلْنَا: نَكْتُبُ مَا جَاءَ عَنْ أصْحَابِهِ فَإنَّه سُنَّةٌ، فقلتُ أنَا: ليْسَ بِسُنَّةٍ،

---

(١) التاريخ (٢٠/٤٥٨).
(٢) السير (٨/٤٠٩)، التاريخ (١٢/٢٣٨).
(٣) السير (١٦/١٨١).
(٤) السير (١٨/٤٦ ـ ٤٧).

فَكَتَبَ ولم أكْتُبْ، فَأنْجحَ وضَيَّعْتُ»[1].

١٠ ـ عدم الإكثار من مخالطة الناس:

□ «قال إبراهيمُ الحرْبيُّ: كان أحمَد يُجِيبُ في العُرْس والخِتان، ويأكلُ. وذَكَرَ غيرُه أنَّ أحمدَ رُبمَا اسْتعفَى من الإجابة. وكان إن رأى إناء فضة أو منكرًا، خرج. وكان يُحبُ الخمولَ والانزواء عن النَّاس، ويعودُ المريضَ، وكان يكره المشْي في الأسواق، ويُؤثِرُ الوَحدة.

قال أبُو العبَّاس السَّراج: سمعتُ فتح بن نوح، سمعتُ أحمد بن حنبل، يقولُ: أشتهي ما لا يكونُ، أشتهي مكانًا لا يكونُ فيه أحدٌ من النَّاس.

وقال الميموني: قال أحمد: رأيتُ الخلوة أروحَ لقلبي.

قال المرُّوذي: قال لي أحمد: قل لعبد الوهَّاب: أخْمِلْ ذكرك، فإني أنا قد بُليتُ بالشهرة.

□ «وقال محمَّد بنُ الحسَنِ بنِ هَارُونَ: رأيْتُ أبَا عبد الله إذَا مشَى في الطَّريق، يكره أن يتبعَه أحدٌ.

قلتُ: إيثَارُ الخمُولِ والتَّواضُعِ، وكَثْرَةُ الوَجَلِ منْ عَلامَاتِ التَّقْوَى والفَلاحِ»[2].

□ «قال عبدُ الله بنُ أحمَدَ: خَرَجَ أبي إلى طَرسُوس ماشيًا، وحجَّ ماشيًا، وحجَّ حجتين أو ثلاثًا ماشيًا، وكانَ أصْبَرَ النَّاسِ على الوحدة، وبِشْرٌ لَمْ يَكُنْ يصبر على الوحدة، كان يَخْرُجُ إلى ذَا وإلى ذَا»[3].

□ «ومِنْ شعْر أبي عبد الله الحُمَيْديِّ الأندُلُسِي:

لِقَاءَ النَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئًا ... سُوَى الهَذَيَانِ مِنْ قِيلٍ وقَالِ
فَأقْلِلْ مِنْ لِقَاءِ النَّاسِ إلا ... لأخْذِ العِلْمِ أوْ إصْلاحِ حَالِ»[4]

---

(١) التاريخ (٨/ ٢٣٩).
(٢) السير (١١/ ٢٢٦).
(٣) السير (١١/ ٢١١).
(٤) التذكرة (٤/ ١٢٢٢).

١١ ـ اغتنام الأوقات:

□ «قَالَ عَلاءُ الدِّين بنُ العَطَّار: ذَكَرَ لي شيخُنَا النَّووي ـ رحمهُ اللهُ تَعَالى ـ أَنَّهُ كَانَ لا يُضَيِّعُ لَهُ وقتًا لا في ليلٍ ولا في نهارٍ إلا في اشْتِغَالٍ، حتَّى في الطُرُقِ، وأنَّه دَامَ عَلَى هَذَا سِت سِنِينَ، ثمَّ أخَذَ في التَّصْنيفِ، والإفَادةِ، والنَّصِيحةِ، وقولِ الحقِّ.

قلتُ: معَ مَا هُو عليه من المجَاهَدةِ بنفسِه والعملِ بدقائقَ الوَرَعِ، والمُراقَبَةِ، وتصْفِيَةِ النَّفْسِ مِنْ الشَّوَائبَ، ومحْقُها من أغْراضِهَا، كَانَ حافِظًا للحدِيثِ وفُنونِهِ ورِجَالِه وصَحِيحِهِ وعَلِيلِه، رأسًا في مَعْرِفَةِ المذَاهبِ»[(١)].

□ «قَالَ الحافظُ قُطْبُ الدِّينِ الحلبيُّ: كَانَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ إمَامَ أهْلِ زَمَانِهِ، ومِّمنْ فَاقَ بالعِلْمِ والزُّهْدِ علَى أقْرَانِه، عَارِفًا بالمذْهَبيْنِ، إمَامًا في الأصْليْنِ، حافِظًا مُتْقِنًا في الحدِيثِ وعلومِه، ويُضرب به المثَلُ في ذلكَ، وكَانَ آيةً في الحفظِ، والإتقانِ، والتَّحَرِّي، شديدَ الخوفِ، دائمَ الذِّكْرِ، لا ينَام الليلَ إلا قليلًا، ويقْطَعَهُ فِيمَا بيْن مُطالعَةٍ، وتلاوةٍ، وذكرٍ، وتهجدٍ، حتَّى صَارَ السَّهَرَ لهُ عادةً، وأوقاتُه كُلُّهَا معمُورةً، لمْ يُر في عَصْرِهِ مثْلُه»[(٢)].

□ «ومِنْ نَظْمِ أبي الوَلِيْدِ البَاجِيِّ:

إذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمًا يَقِينًا ... بأنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَة

فَلِمَ لا أكُونُ ضَنِينًا بِهَا ... وَأجْعَلُهَا فِي صَلاحٍ وَطَاعَة»[(٣)]

□ «أنْشَدَنِي أبُو المَعَالي مَسْعُودُ بنُ مُحمَّدٍ الفقيهُ:

يَقُولُونَ: أسْبَابُ الفراغِ ثلاثةُ ... ورابعُهَا خَلَّوهُ وهُو خِيَارُها

وَقَدْ ذَكَرُوا أمْنًا ومَالًا وصحةً ... ولم يعلموا أنَّ الشبابَ مدارُها»[(٤)]

---

(١) التذكرة (٤/ ١٤٧٢).
(٢) التذكرة (٤/ ١٤٨٢).
(٣) التذكرة (١٨/ ٥٤٢).
(٤) السير (٢١/ ١٠٨).

١٢ ـ كبر السِّنِّ ليس عائقًا في تحصيل العلم:

◘ «حَذَقَ الإمَامُ العَلامَةُ الكَبِيرُ شَيْخُ الشَّافِعِيةِ أبُو بَكْرٍ القفَّالُ في صنعة الأَقْفَالِ، حتَّى عملِ قُفْلًا بآلاتهِ ومفتاحهِ، زِنَةَ أربع حبَّاتٍ، فلمَّا صَارَ ابنَ ثلاثين سنة، آنَس مِن نفْسِه ذكاءً مُفْرطًا، وأحبَّ الفقهَ، فأقبلَ على قراءته حتى بَرَعَ فيه، وصَارَ يُضْرب به المثلُ، وهو صاحبُ طريقةِ الخُراسانيِّين في الفقه»[١].

◘ «وقدْ نَالَ أبَا الفَرج بنَ الجَوْزِيِّ مِحْنَةٌ في أواخرِ عمرِهِ، وَوَشَوْا بِه إلى الخليفةِ النَّاصِرِ عَنْهُ بِأَمْرٍ اختُلف في حقيقِته، فجاء مَنْ شَتَمَهُ، وأَهَانَهُ، وأخَذَهُ قَبْضًا باليْدِ، وخَتَمَ علَى دَارِه، وشَتَّتَ عيَالَه، ثمَّ أُقْعِدَ في سفينةٍ إلى مدينةِ واسط، فَحُبِسَ بها في بيتٍ حرجٍ، وبقيَ هُوَ يغْسِلُ ثوبَه، ويطبخُ الشيءَ، فبقي على ذلك خمس سنين ما دخل فيها حمَّامًا... وكان السببُ في خَلاصِ الشيخِ: أنَّ ولدَهُ يُوسُفَ نَشَأَ واشْتَغَل، وعَمِلَ في هذِه المدةِ الوعظَ وهو صبي، وتوصَّلَ حتَّى شفعتْ أمُّ الخليفةِ، وأطلقَت الشيخَ، وأتى إليه ابنُه يوسفُ، فخرج، وما ردَّ من واسط حتى قرأ هو وابنُه بتلقينه بالعشر على ابن الباقلانِّي، وسنُّ الشيخ نحو الثمانين، فانظر على هذه الهمَّة العالية»[٢].

١٣ ـ الاهتمام بالكتب:

◘ «الكوكبي: حدثنا محمدُ بن موسى المارستاني، حدثنا الزبيرُ بن بكَّار، قال: قالت بنتُ أختي لأهلنا: خالي خيرُ رجلٍ لأهله، لا يتَّخِذُ ضَرَّةٍ وسُرِّيَةٍ. قال: تقول المرأةُ: واللهِ هذه الكتب أشَدُّ عليَّ من ثلاث ضرائر»[٣].

◘ «قال أحمدُ بنُ أبي الحوَارِي: سمعتُ مروان بنَ محمَّد الطَاطَريَّ يقُولُ: لا غِنى لصَاحبِ الحدِيثِ عن ثَلاثَةٍ: صدقٍ، وحفظٍ، وصحةِ كُتُبٍ، فإنْ كانَتْ ثِنْتَانِ لمْ يضْعُفْ: صِدْقٌ، وصحةُ كُتُبٍ، وإذَا لمْ يحفظْ رجَعَ إلى كُتُبٍ صَحِيحَةٍ»[٤].

---

(١) السير (١٧/ ٤٠٦).
(٢) السير (٢١/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧).
(٣) السير (١٢/ ٣١٣).
(٤) التذكرة (١/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩).

١٤ ـ المذاكرة:

□ «وقال ابنُ وهبٍ: أخبرني يعقوبُ بنُ عبد الرحمٰن أنَّ الزُّهريَ كَانَ يَبْتَغِي العلْمَ مِنْ عُرْوةَ وغيرِهِ، فيأْتِي جاريةً لَهُ نَائِمَةً فيوقِظُهَا فيقولُ لهَا: حدثَني فلانٌ وفلانٌ بكذا، فتقولُ: مَا لي ولهذَا؟ فيقولُ: قدْ علمتُ أنَّكِ لا تنتفعينَ بِهِ، ولكنْ سمعتُ الآنَ فأردتُّ أنْ أستذْكَرَهُ»[١].

□ «وكَانَ أبُو بَكْرٍ ابنِ الحدَّاد لمحبتِهِ للحدِيثِ لا يَدَع المُذَاكَرَةَ»[٢].

□ «معمر، عن قتادة، عن مطرف سمعت ابن عباس يقول: مذاكرة العلم ساعة خير من إحياء ليلة»[٣].

□ «روى الأوزاعي، عن الزهري، قال: إنَّما يُذهب العلمَ النسيانُ، وتركُ المذَاكَرَةِ»[٤].

□ «وقَالَ أبُو الحُسين ابنُ فارسٍ اللُّغويُّ: سمعتُ الأستاذَ ابنَ العميد يقُولُ: ما كنتُ أظنُّ أن في الدُّنيا حلاوة ألذُّ من الرئاسةِ والوزارةِ التي أنا فيها، حتَّى شاهدتُ مُذاكرةَ الطَبَرانِيِّ، وأبي بَكْر الجِعَابِي بحضرَتِي، فكان الطبرانيُّ يغلبُه بكثرةِ حفظِه، وكان الجِعَابيُّ يغلبُ بفطنَتِه وذكائِهِ، حتَّى ارتفعتْ مراتبهُمَا، ولا يكادُ أحدهُما يغلبُ صاحبَه، فقال الجِعَابيُّ: عنْدي حديثٌ ليسَ في الدُّنيا إلا عنْدِي، فقَالَ: هاتِ، فقَالَ ثنا أبُو خَليفَةَ، أنا سُليمانُ بنُ أيوبَ، وحدَّثَ بحديثٍ، فقَالَ الطَبَرانِيُّ: أنَا سليمانُ بنُ أيوبَ، منِّي سمعَهُ أبُو خليفةَ، فاسمعْ منِّي حتَّى يعْلُو فيه إسنادُكَ، فَخَجَلَ الجِعَابيُّ، فوددتُّ أنَّ الوزارةَ لم تَكُنْ، وكنتُ ابنًا للطَبَرانيِّ، وفرحتُ لفرَحِهِ، أو كَمَا قَالَ»[٥].

□ «قَالَ البُخَاريُّ: سمعتُ عبدَ الله بنَ أحمدَ بنِ حنبلٍ قَالَ: نَزَلَ أبُو زرْعَةَ عندنَا فَقَالَ لي أبي: يا بُني! قَدْ اعتضتُ عن نَوافِلِي بمذاكَرةِ هَذَا الشيْخ»[٦].

---

(١) التاريخ (٨/ ٢٤٣)، السير (٥/ ٣٣٤).
(٢) التاريخ (٢٥/ ٣٠٤)، السير (١٥/ ٤٤٩).
(٣) التذكرة (١/ ٤١).
(٤) السير (٥/ ٣٣٧).
(٥) التاريخ (٢٦/ ٢٠٦).
(٦) التذكرة (٢/ ٥٥٧).

□ «أنبأنا أبُو الغنائِم بنُ عَلان، أخبَرَنَا أبُو اليُمْن الكِنْدِيُّ، أخبَرَنَا أبُو منْصُور القزَّاز، أخبَرَنَا أبُو بكرٍ الحافظُ، أخبرَني أحمدُ بنُ سُليمَانَ بنِ عليٍّ المقْرِيء، أخبَرَنَا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ الخليْلِ، أخبَرَنَا أبُو أحمدَ بنُ عديٍّ، سمعتُ عبدُ اللهِ بنُ محمَّد بنُ عبدِ العزِيزِ، سمعتُ أبَا بكر بنُ زَنْجُويْه يقول: قدمتُ مِصْرَ، فأتيتُ أحمدَ بنَ صالحٍ، فسألَنِي من أين أنت؟ قلتُ: من بغداد. قَالَ: أين منزلُك من منزلِ أحمدَ بنِ حنبلٍ؟ فقلتُ: أنا مِنْ أصْحَابِه. قَالَ: تكتبْ لي مَوضِعِ منزلكَ؟ فإنِّي أريدُ أنْ أوافِي العراقَ حتَّى تجمعَ بينَنَا. فكتبتُ لَهُ. فوافَى أحمدُ بنُ صالحٍ سنةَ اثنتي عشْرة ومئتين إلى عفَّان. فَسَألَ عنِّي؟ فلقيني فَقَالَ: الموعدُ الذي بيني وبينَكَ. فذهبتُ بِهِ إلى أحمدَ بنِ حنبلٍ، واستأذنتُ لَهُ فقلتُ: أحمد بن صالح بالباب، فأذِنَ له، فقامَ إليه، ورحَّبَ به، وقرَّبَه، ثمَّ قال له: بلغَنِي أنَّكَ جمعتَ حديثَ الزُّهْرِي، فتعالَ حتَّى نذكُرُ مَا رَوى الزُّهريُّ عن أصْحابِ رسولِ الله ﷺ. فجَعَلا يتذاكرَان، ولا يُغْرِبُ أحدهُمَا على الآخر، حتَّى فَرَغَا، فمَا رأيتُ أحسنَ من مذاكرتِهمَا، ثمَّ قالَ أحمدُ بنُ حنبل: تعالَ حتَّى نذكُرُ مَا رَوَى الزُّهريُّ عنْ أولادِ الصَّحَابةِ. فجَعَلا يتَذَاكرَان، ولا يُغْربُ أحدُهُمَا على الآخَرِ، إلى أن قَالَ لأحمدَ بنِ صالحٍ: عنْد الزُّهْريِّ، عن محمَّد بنِ جبير بن مطعم، عن أبيه، عن عبدِ الرَّحمن بنِ عوفٍ، قال النَّبيُّ ﷺ: **«ما يَسُرُّنِي أنْ لِي حُمْرَ النَّعَم وأنْ لِي حِلْفَ المُطَيَّبينَ»** فقال أحمدُ بنُ صالحٍ لأحمدَ بنِ حنبلٍ: أنتَ الأستاذُ، وتذْكُرُ مثلَ هَذَا؟! فَجَعَل أحمدُ يَتَبَسَّمُ ويقُولُ: رواه عن الزُّهْريِّ رجلٌ مقبولٌ أو صالحٌ عبد الرَّحمٰن بنُ إسْحاقَ. فقال: مَنْ رواه عن عبد الرحمٰن؟ فقال: حدثناه ثقتان: إسماعيلُ بنُ عُلَيَّةَ، وبِشْرُ بنُ المُفَضَّل، فقالَ أحمدُ بنُ صالحٍ: سألتُك باللهِ إلا أمليتَه عليَّ، فقال أحمدُ: مِن الكتاب. فقامَ ودَخَلَ، فأخْرَجَ الكتابَ وأملى عليه، فقال أحمدُ بنُ صالحٍ: لو لم أستَفِدْ بالعراقِ إلا هَذَا الحديثَ لكَانَ كثيرًا، ثمَّ ودَّعه وخَرَجَ»[1].

---

(١) السير (١٢/١٦٩ ـ ١٧٠).

١٥ ـ الحفاظ على علمِ السَّلَفِ:

□ «وقالَ عبدُ الواحد بنُ أبي هاشمٍ: سَأَلَ رجلٌ ابنَ مجاهد: لِمَ لا تَخْتَار لنفسِك حرفًا يُحمل عنك؟.

قالَ: نحنُ إلى أنْ نُعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمَّتُنَا أحوج منَّا إلى اختيار حرفٍ يَقرأ به مَنْ بعدنا»[١].

□ «وقال الأصمعي: سمعتُ أبا عَمرو بن العلاء يقولُ: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قُرئ به، لقرأتُ حرف كذا وحرف كذا»[٢].

١٦ ـ الترويحُ عن النَّفْسِ:

□ «وقال حمَّادُ بنُ زَيْدٍ: كان الزُّهريُّ يُحِدِّثُ ثمَّ يقُولُ: هاتُوا مِنْ أشْعَارِكُمْ وأحَادِيثِكُم فإنَّ الأُذُنَ مجَّاجةً، وإنَّ للنفْسِ حُمْضَة»[٣].

(١) التاريخ (٢٤/ ١٤٦).
(٢) معرفة القراء (١/ ١٠٢).
(٣) التاريخ (٨/ ٢٤٧).